سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (54) | 30 / 9 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

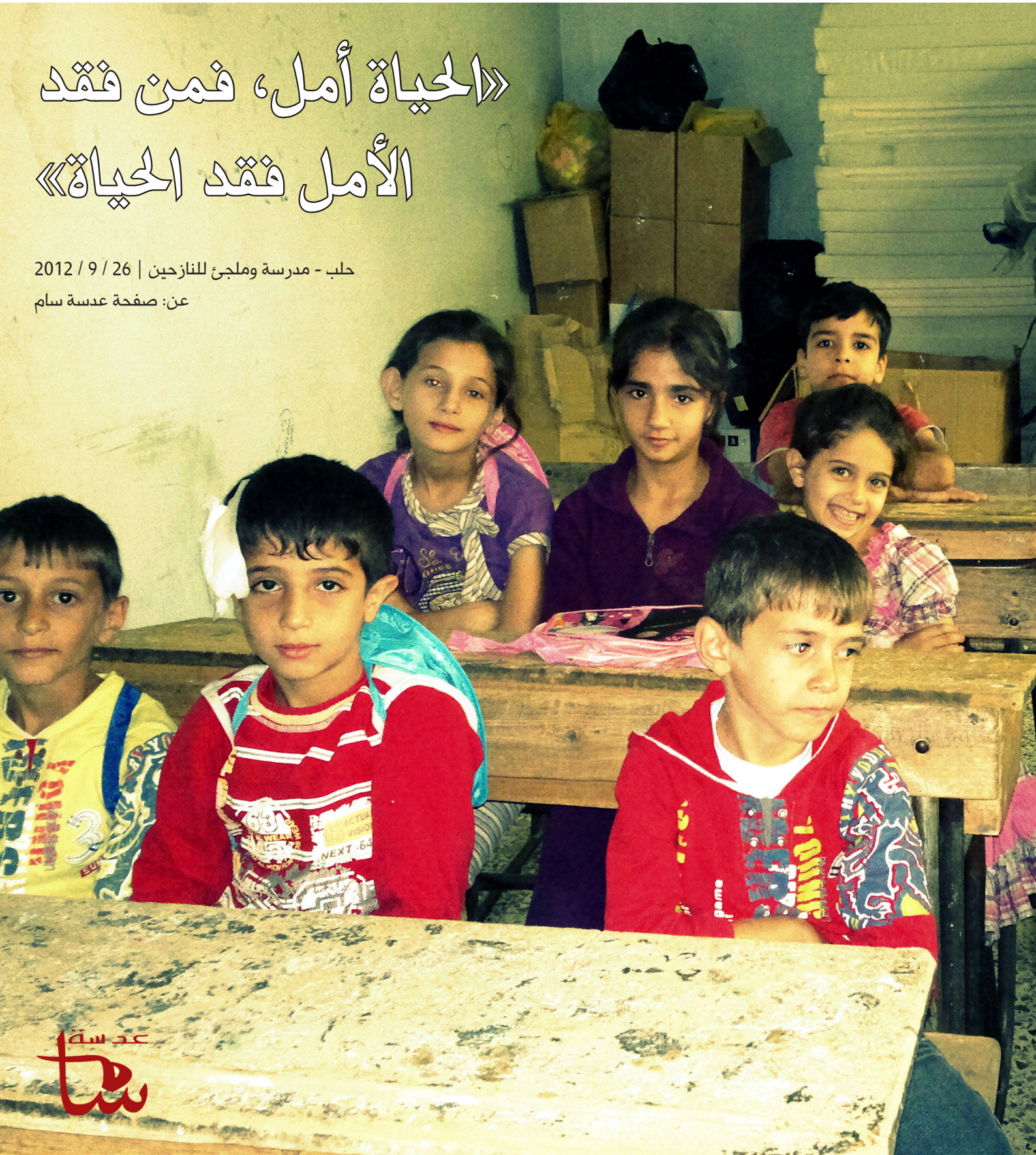

«الحياة أمل، فمن فقد الأمل فقد الحياة»

حلب - مدرسة وملجئ للنازحين | 26 / 9 / 2012
عن: صفحة عدسة سام

عدسة سام

الانتظـار الطويل للاجئين السوريين قـرب الحدود التركية

يتكـدس اللاجئـون السـوريون بالعشرات في خيم مرتجلة معلقة بغصون الزيتـون. الحـدود التركية على بعـد أمتار، لكن الأسـابيع تمر وما زالوا سجناء بلادهم التي تشهد قصفا مستمرا.

فـي بلـدة أطمـة ومحيطهـا حيـث السـيطرة للجيـش الحر في أقصى شـمال البـلاد ينتظـرون بـالآلاف فـي المـدارس والملاجئ العشـوائية أن تفتح تركيا أبوابها لهـم وتنقلهم إلـى احد مخيمـات اللاجئين لديها.

وفيمـا تناسـتهم جميـع المنظمـات الإنسانية السورية والدولية على حد سواء، يعيـش اللاجئـون بفضـل سـخاء العائلات السورية ونشاط متطوعين وفدوا من جميع أنحاء البلاد.

احمد نجار (41 عاما) كان بناء في بلدة الدانـا علـى بعـد 40 كلم من أطمـة. بقي طوال شـهر مختبئا مع عائلته في منزلهم، لكن مع اقتراب القصف ومقتل أحد الجيران وضب بعض البسـط والأغطية وأخذ بدوره طريق الهجرة.

وقال: "إننا هنا منذ 31 يوما" فيما كان يوقد نار حطب لتسـخين المياه. وتابع: "كل يـوم يقولون لنا غـدا، غدا. لكـن لا يمكننا دخول تركيـا. باتـت الليالي بـاردة وأصيب الأطفال بالمرض".

ويقوم الجيش التركـي المتمركز في موقـع قريب على قمـة التلة بفتـح الحدود أمـام اللاجئيـن دوريـاً، لكن بحسـب قدرة الاسـتقبال فـي مخيمات اللاجئيـن التركية التي بلغـت حدها الأقصى مؤخـرا بانتظار إنشاء غيرها.

ففي بعض الأيام تجري دعوة عشرين شـخصا إلى خيم كبرى منصوبة في الجهة الأخـرى مـن الشـريط الشـائك وتؤخـذ أسـماؤهم قبل نقلهم بالشاحنات. في أيام أخرى يبلغ عدد هؤلاء المئات.

وأوضح إيهاب أسـتاذ الرياضيات البالغ 28 عامـا فـي إحـدى مـدارس أطمـة حيث يديـر عمليـات التموين "لا يمكننـا علـى الإطـلاق معرفـة شـيء مسـبقاً". وتابـع: "عندما يسـمحون لعائلات كثيـرة بالدخول يشـيع الخبر ويتوافد الناس من كل الأنحاء. وهؤلاء علينا إطعامهم".

ويستضيف جميع سكان القرية أقارب لهـم أو أصدقـاء. وقـد يقيـم فـي المنزل الواحـد 20 أو 30 شـخصا. لذلك يتم العمل على إقامة مخيم يتسع لـ500 شخص مجهز بالميـاه والحمامـات في الأيـام المقبلة في محيط أطمة.

تلجأ حوالي 200 عائلة إلى المدرسـة، حيـث تنـام النسـاء والأطفـال فـي غـرف الدراسة التي أفرغت من مقاعدها، والرجال في الباحة.

في المطبخ تسمح أربعة مواقد بطبخ 225 كلـغ مـن الأرز فـي قـدور كبيـرة كل مسـاء. وأسـندت إلـى الحائط أكيـاس من البطاطا وهبها مـزارع في الجوار. أما المياه المنقطعـة منذ شـهرين فيتم سـحبها من آبـار وحفظها في خزانات. ونـادرا ما تتوافر الكهرباء لاستخدام المضخات...

وأوضـح إيهـاب: "مع بـدء المعارك لم يكونـوا يبقون فترة طويلـة". متابعا: "لكن عندما بدأت تركيا تستقبلهم بشكل محدود بات عدد الذين يعتمدون علينا كبيرا".

عمـر البالـغ 45 عاما ورفض الكشـف عن اسـمه كاملا؛ يقيم في الباحة منذ أكثر من شهر، في خيمة بنيت من مقاعد دراسية مغطاة بالسجاد.

وقـال: "لو كنـا نعرف أحدا فـي تركيا لكنـا عبرنا الحدود خلسـة... لكـن لا نعرف أحدا. والشـاحنة التي نقلتنا إلى هنا كلفتنا كل ما كان لدينا من مال".

سـميحة ربة المنزل البالغـة 42 عاما تمكـث هنـا وحدهـا مـع سـبعة أولاد مـن بينهم مراهقتان محجبتان تخفضان النظر وتشيحان بوجهيهما أمام كل غريب.

وقالـت سـميحة غاضبـة: "إذا تركنـا الأتراك ندخل فسـنبقى هناك حتى سقوط هذا النظام الذي يقصفنا ويقتلنا". وتابعت: "بلدتنـا دارة عـزة اسـتهدفتها الصواريـخ والقذائف والطائـرات! لم أتمكن من تهدئة الأطفال. هنا الوضع هادئ على الأقل".

ثمانية أشقاء في خندق واحد يقاتلون مع الجيش الحر في حلب

على جبهة بسـتان القصـر في مدينة حلب في شمال سوريا، ثمانية أشقاء تتراوح أعمارهـم بين 18 و34 عامـا، يحاربون معا جنبـا إلـى جنب فـي مواجهة قـوات النظام السـوري، واضعيـن نصـب أعينهـم هدفا أوحد: "الانتهاء من نظام بشار الأسد".

ويقـول رضا، أصغر الأشـقاء الثمانية المحاربيـن في صفوف "الثـورة" والذي بلغ الثامنة عشـرة قبل أيـام: "إذا قتل واحد من أشـقائي أو أكثر، سأموت إلى جانبهم. إنهم مـن لحمـي ودمي، وسـيكون شـرفا لي أن أقضي معهم وأنا أدافع عن الحرية".

ويضيف: "وصلنا إلى المدينة منذ أكثر من شـهر. ومنذ ذلك الحين، لا نلقي السلاح إلا في أوقات الصلاة".

في الوقـت الحاضر، يضـع رضا جانبا أحلامـه بدخـول الجامعـة من أجل دراسـة المعلوماتيـة. ويقول: "الأمـر الأكثر أهمية اليوم هو الانتهاء من الأسد. دروسي يمكن أن تنتظر. أن مكاننا، نحن الشباب السوري، هنا، في ساحة المعركة".

وعلق شـقيقه رفعت (20 عاما) بدوره دروسه الجامعية. ويقول رفعت وهو يمسك بقذيفـة مضـادة للدبابات: "نحن الشـباب، نشكل مسـتقبل سـوريا، واليوم مستقبل سـوريا هـو فـي الشـارع. يفتـرض بنا أن نكون على مقاعد الدراسة، إنما بسبب هذا الطاغيـة (الأسـد)، علينا أن نحمل السـلاح. نحـن نحـارب لكي تتمتـع الأجيـال اللاحقة بمستقبل سلام وحرية".

وينتقـد رفعـت نظـرة الغـرب إلـى المقاتلين المعارضين. ويقول: "تظنون إننا في تنظيم القاعـدة، لمجرد إننا نصرخ اللّه اكبـر. لا، نحن نؤمن باللّه. هذا كل شـيء. انه العون الوحيد المتبقي لنا، والوحيد الذي سـيقودنا إلى النصر". ويهتف أشـقاؤه من حوله: "اللّه اكبر".

وقد غادر الأشـقاء الثمانية سـرمدا في محافظة إدلب (شمال غرب) قبل 17 شهرا بعد وقت قصير على بدء الحركة الاحتجاجية.

ويتحـدث أنـس (34 عامـا) عـن التظاهرات السلمية التي خرجت إلى الشارع في سوريا في خضم الربيع العربي في دول أخرى. ويروي: "أطلق الجيش النار على هذه التظاهرات. قتل بعض أعز أصدقائنا. وكان الأمن يلقي بنا في السجون تحت أي حجة".

بعدها، ترك انـس محله لبيع الهواتف الخلويـة وعائلته المؤلفة مـن زوجة "وأربع فتيات رائعات" وانضم إلـى الثورة. ويقول: "يعتقد بشـار انه الملك وإننا عبيد له. إلا أن العبيد طفح كيلهم من خدمة معلمهم".

ويفضل احمد (24 عاما) التزام الصمت. يكتفـي بابتسـامة بيـن الحين والآخـر، أو يتمتم شيئا في إذن احد أشقائه.

فيتكلـم رضا عنـه بفخـر، موضحا أن احمد "اعتقل في إحدى التظاهرات وألقي في السـجن. ضربوه على مدى أيـام ليتكلم، إلا انه لم يقل شـيئا. عندما اتصلوا بنا لتسلمه، لم نعرفه لكثرة التشوهات التي حلت به".

خلال الأشـهر الماضيـة، تنقل الأخوة الثمانيـة بيـن النقاط السـاخنة فـي أنحاء سـوريا: من حمص (وسـط)، إلى إدلب، إلى حلب... ويقول عصام (26 عاما): "لن نتوقف إلا بعد سقوط النظام".

ويوضـح رضـا أن والدهـم يعلـم بما يقومـون بـه ويدعمهم، مضيفـاً: "لا يخاف علينا مـن المـوت، لأنه يعلـم أن هذه هي الوسـيلة الوحيـدة لتحرير سـوريا". ويتابع: "انـه يصلي مـن أجلنـا، ولكي ننتصـر. إذا متنا، سيفخر بنا كشهداء".

في هذا الوقت، يتم استدعاء المقاتلين الثمانيـة، فالكتيبة التي ينتمـون إليها تعد لهجـوم جديد. الهدف هذه المرة مركز أمني مـن شـأن الاسـتيلاء عليـه أن يسـاعد في تعزيز الجبهة.

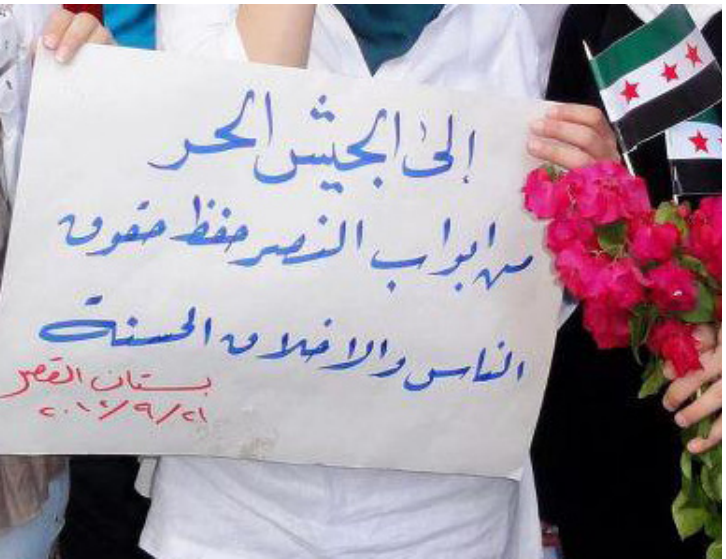

مدرسة أون لاين
محاولة لإنقاذ العام الدراسي في سوريا

مدرسة في أحد بيوت حمص القديمة

بسبب الأوضاع التعليمية والدراسية الصعبة التي تمر بها سورية نتيجة العمليات العسكرية التي يشنها النظام السوري على المدن والبلدات السورية، وحتى لا يضيع العام الدراسي على التلاميذ السوريين غير القادرين على الدراسة بسبب النزوح الداخلي أو التهجير الخارجي، أو بسبب القصف وقطع الطرق بسبب الأوضاع الأمنية السيئة، أنشأ مجموعة من المتطوعين السوريين مدرسة افتراضية مجانية، هدفها إيصال دروس المواد الأساسية وفق المنهج الدراسي السوري لمرحلة التعليم الأساسي (من الصف الأول وحتى التاسع) لأوسع شريحة طلابية ممكنة داخل وخارج سورية.

ولأن التعليم المنزلي هو الحل في مثل هذه الظروف، ولارتفاع كلفة الدروس الخصوصية، وعدم إرسال التلاميذ للمدارس خوفاً على أمنهم، قام ناشطون بإحداث (مدرسة أون لاين) عبر الانترنيت، التسجيل فيها مجاناً، تعرض الدروس والمناهج بشكل يومي على صفحة التواصل الاجتماعي الخاصة بكل صف، كالمدرسة النظامية، ويتابع الأهل تطور أبنائهم، فيما يقوم بالتدريس فيها شباب وأساتذة مختصون متطوعون، يتواصل التلاميذ معهم بشكل مباشر.

وكان مختصون وأهالي قد أكّدوا أن المدارس ليست جاهزة لاستقبال التلاميذ سوى في مناطق قليلة، ودعوا إلى تأجيل افتتاح المدارس والجامعات، لكن مناشدتهم هذه لم تلق آذاناً صاغية، وأصرّت الحكومة على بدء الدراسة في موعدها المعتاد ككل عام، لتؤكد أن الوضع في سورية طبيعي ولا يوجد ما يدعو لتأجيل الدراسة.

ويؤكد أصحاب المشروع أنه على الرغم من كل الصعوبات والتحديات التي واجهها أصحاب الفكرة والمشاكل التحضيرية والتقنية العديدة، استطاعوا حل العديد من المشاكل، وخاصة المتعلقة بتحضير الدروس اليومية وتحديد البرنامج الدراسي اليومي وأوقات بدء كل درس، لكن مشاكل أخرى ما زالت تعرقل عملهم، من أبرزها انقطاع التيار الكهربائي عدة مرات يومياً والبطء الشديد للانترنيت.

ولم تقتصر المدرسة الافتراضية على الدروس المباشرة، بل أبقت على هذه الدروس والمعلومات مع الشرح على الصفحات، ودعّمتها بتسجيلات صوتية وصور إيضاحية، ليستطيع الطلاب الذين لا تتناسب أوقاتهم مع أوقات بدء كل درس من متابعته في أي وقت آخر، ولا يفوتهم سوى التفاعل المباشر مع الأساتذة والتواصل مع المدرسين.

وكانت منظمة الأمم المتحدة قد أعلنت أن أكثر من ألفي مدرسة في سورية دمّرت أو تضررت حتى الآن من أصل 22 ألف مدرسة، أي ما يوازي 10٪ من المدارس، وأنّ مئات المدارس الأخرى كان يستعملها لاجئون فروا من العنف، كما تضررت جامعات في عدة محافظات سورية، ويقول ناشطون حقوقيون إن القوات الأمنية السورية اعتقلت الآلاف من طلاب الجامعات والمدارس بسبب مشاركتهم بالتظاهرات المطالبة بإسقاط النظام أو بسبب نشاطهم السياسي المخالف، وقامت القوات الأمنية والعسكرية بتحويل عدد من المدارس إلى ثكنات عسكرية واستخدمتها أحياناً كمعتقلات مؤقتة.

وأكد المجلس الأعلى للطفولة في سورية أنه منذ بداية الثورة في سورية إلى اليوم هناك طفل معتقل كل يوم، فيما يؤكد الناشطون على وجود أربعة أطفال قتلى كل يوم ومعتقلين اثنين ومعاق واحد على الأقل بسبب القصف، معظمهم في سن الدراسة.

وتؤكد المعارضة السورية على أن نحو 60٪ من طلاب سورية لم يلتحقوا بمدارسهم بعد، خاصة في المناطق المتوترة، وشددوا على استحالة تأهيل المدارس حالياً أو قبول الأهالي إرسال أبنائهم إليها في ظل القصف المتواصل للمناطق المدنية وخوف المدرّسين من التوجّه للمدارس.

أوجاع وطن

إلى خلود..
تلك المناضلة المجهولة

■ سعاد يوسف

عملت خلود في السنين الخمس الماضية ممرضة في أحد المراكز الطبية في واحدة من ضواحي دمشق.. كانت تستيقظ كل صباح وتذهب إلى عملها بكامل النشاط.. تستقبل المرضى، تساعد من بمقدورها مساعدتهم، تشرف على وحدة التصوير الشعاعي في المركز، ترتب المواعيد وتنظم جدول أعمال الأطباء. وعند خلو المكان من المرضى تقوم بتنظيفه وترتيبه زارعة إياه حباً وحناناً.. تعود مساء إلى منزلها القريب فتتناول طعام عشائها ثم تقضي ما تبقى من يومها في الدراسة. تحب خلود الأطفال كثيراً وبعد تخرجها من معهد التمريض وأثناء عملها في المركز درست وتخرجت من قسم رياض الأطفال في التعليم المفتوح.

كان لخلود العديد من الأصدقاء، كما كانت مخطوبة لشاب جميل جداً كان يعمل معها في المكان نفسه.. كانت تحبه كثيراً وكانا يخططان للزواج بعد فترة قصيرة..

حين اندلعت الثورة السورية أحست خلود بأن عليها أن تشارك في مجرياتها بأي طريقة كانت.. خجلها كان يمنعها من النزول في المظاهرات ولم تكن تعرف أحداً يمكن له أن يساعدها في المشاركة في أي عمل ثوري مهما كان بسيطاً، فأمضت الأشهر الأولى تتابع نشرات الأخبار بنهم باحثة عن أي عمل يمكن لها أن تقوم به.. ولم يطل الوقت حتى انتقلت أحداث الثورة الدامية إلى مكان سكنها وعملها.. عشرات الجرحى والشهداء كل يوم جمعة.. وهنا لم تأخذ خلود وقتاً للتفكير: عليها أن تساعد الجرحى، فهم ضحايا عنف نظام همجي لا يتردد في قتل كل من يقف في طريقه.. اتفقت مع بعض الأطباء في المركز وبدؤوا باستقبال جميع جرحى المظاهرات والذين كانوا يتزايدون أسبوعاً بعد أسبوع ويوماً بعد يوم.. عالجت المئات، دون سؤال عمن يكونون ولم أصيبوا، عالجتهم دون شرط، ودون مردود مادي طبعاً.. وبقيت تعمل بصمت لأشهر طويلة، وسعادة داخلية غريبة تغمرها..

منذ حوالي أسبوع اختفت خلود، لم يعد لها أثر ولم يتمكن أي من أهلها أو أصدقائها أو خطيبها من تحديد مكان وجودها.. فقد الاتصال بها فجأة دون أن يكون بمقدور أهلها أن يعرفوا مصير ابنتهم.. وبعد أيام، اتصل طبيب من مشفى في قلب دمشق بأهل خلود ليقول لهم: «نظن أن جثمان ابنتكم هنا في المشفى، تعالوا من فضلكم كي تتعرفوا عليها».. جثمانها كان مع عشرات الجثث الأخرى التي عثر عليها وقد أعدمت ميدانياً في حي جوبر الدمشقي.. جثة صامتة كغيرها، لم تستطع أن تحكي عن صاحبتها وعن حبها للمرضى والأطفال.. لم تستطع جثة خلود أن تقول كم جريحاً عالجت، كم جرحاً خاطت وكم مريضاً أنقذت من الموت.. هي اليوم جثة لم يستطع أحد أن ينقذها وكل ما فعلته في حياتها كي تمنع الموت عن الكثيرين، كل ذلك لم يستطع أن يمنع الموت عنها.. فأصبحت اليوم مجرد جسد صامت وضعت فوقه ورقة صغيرة تحمل رقماً، واسماً..

لم تملك خلود يوماً حساباً على الفيسبوك.. لم يكن لها أصدقاء افتراضيون يعجبون بما تكتبه كل يوم ويتشاجرون على حائطها بسبب كلمة كتبتها أو جملة أعجبت البعض ولم تعجب البعض الآخر.. أصدقاؤها كانوا فقط أولئك المرضى الذين نذرت حياتها كي تخيط وتضمد جروحهم وتجبر كسورهم..

واليوم، لم يذكرها أحد على الفيسبوك ولم ينشئ لها صفحة باسمها، فالجميع مشغول بما قاله هذا الناشط وما فعله ذلك المقاتل.. دفنت خلود وماتت معها كل أحلامها وذكرياتها.. وحدهم أولئك المرضى سيفتقدونها، فما من يد حنونة ستخيط جروحهم وما من صوت عذب سيقول لهم بعد اليوم «اللّه يشفيكون»..

الخطف يتسع في سوريا والفتيات أكثر ضحاياه

عجز النظام عن دفع رواتب الشبيحة.. فأطلق يدهم لطلب الفدية

جفرا بهاء

بدأت عمليات الخطف تأخذ منحى جديداً في سوريا، حيث تبدأ بالاختفاء المفاجئ، ثم إثارة الإشاعات حول مصير المخطوف وطرق تعذيبه، وأخيراً طلب فدية لإطلاق سراحه، وغالباً ما تصل هذه الفدية إلى مبالغ خيالية من الصعب تأمينها.

لا توجد جهة تعترف بوجود المخطوف لديها، وغالباً ما يتحمل الشبيحة مسؤولية تلك العملية، خصوصاً أن النظام بات عاجزاً عن دفع رواتب الشبيحة، فأطلق يدهم للخطف وطلب الفدية وسرقة البيوت وبيع محتوياتها. وتدعي الجهة الخاطفة أحياناً أنها من الجيش الحر لتشويه سمعته، وتغض قوات الأمن الطرف عن تلك الجهة الخاطفة، فيما بدأت تتشكل جماعات من أصحاب السوابق يقومون بعمليات السرقة والخطف تحت مسمى الجيش الحر، وفي الوقت عينه تتعامل مع النظام بشكل مباشر.

وتتكرر منذ عدة أشهر حوادث الخطف في حمص، واللاذقية، وإدلب ومعظم المناطق الثائرة، فيتم خطف الناشطين أو أبناء الأغنياء، ومعظم المخطوفين من الفتيات، حيث يؤخذن إلى جهة مجهولة وتبدأ الاتصالات بالأهل والمساومات للحصول على الفدية.

في 27 آب الماضي خطفت الفتاة راما العسس من منزلها في دمشق من خلال كمين مدبر، وراما من أوائل المشاركات في الحراك السلمي في سوريا، ومن الناشطين الفاعلين في المجال الإغاثي والإنساني.

دخل المنزل أربعة أشخاص، ثلاثة منهم باللباس العسكري والرابع بلباس مدني، ذهبوا المنزل وهددوا أهله ثم رحلوا بها وأودعوها في صندوق السيارة، ليتصلوا لاحقاً بأسرتها طالبين فدية، دفعها أهل راما أملاً بعودتها سالمة إلا أن راما لم يطلق سراحها إلى الآن ولم ترد أي أخبار عنها، وسط تخوف شديد على حياتها.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تتعرض لها حياة راما للخطر، إذ إنه تم اعتقالها سابقاً من قبل الأمن الجنائي وصدرت بحقها مذكرة توقيف اضطرت على إثرها إلى مغادرة منزلها لتعود إليه لاحقاً وتخطف في صباح ذلك اليوم.

كتبت الصفحة الرسمية المطالبة بعودة الفتاة المخطوفة راما العسس برسالة موجهة إلى راما نفسها "إن كان الله قد أكرمك بالشهادة فتقبلك الله من الشهداء، وإن كان قد امتحنك بالأسر فعجل الله بفك أسرك وفرجك".

إحدى مظاهرات ثائرات يبرود

جثث هامدة

يزداد قلق الناشطين من هذه الحالات، خاصة أن بعض المخطوفين عادوا جثة هامدة، كما حدث في الرمل الجنوبي باللاذقية إذ أعيدت إحدى المخطوفات مقتولة بعد 72 ساعة.

وفي العاصمة دمشق ورغم أنه لا يمكن التحقق من عدد الحالات، إذ إنها غالباً ما تحاط بالتكتم ولا يمكن المعرفة بها إلا في حال موت المخطوف، كما حدث منذ أقل من شهر مع علي مطر، من سكان حي برزة الدمشقي، إذ تم خطفه على يد حاجز للجان الشعبية من سكان عش الورور "المنطقة المحاذية لبرزة والموالية للنظام السوري".

أما معظم حالات الخطف في حمص فقد تمت من قبل أفراد ينتمون إلى النظام سواء من الأمن أو الجيش أو اللجان الشعبية، وفي حالات أخرى بتسهيل ودعم منه، إذ يغض الطرف عن هذه الحالات ولا يلاحق مرتكبها.

ومؤخراً ازداد الخوف والرعب من عملية الخطف تلك، لأنها تتم من بعض الأشخاص الذين يتصلون بأهل المخطوف، مدعين أنهم من الجيش الحر، طالبين فدية كبيرة، ليكتشف أهل المخطوف بعد حين أن ما دفعوه "للجيش الحر" إنما قاموا بدفعه للشبيحة.

وفي واحدة من حالات الخطف الأخيرة في اللاذقية، قامت عائلة المخطوف، بجمع مبلغ مليون ليرة سورية، كفدية لابنهم الشاب الصغير، وحسب جهة الاتصال التي فاوضتهم، قالت لهم إن إحدى كتائب الجيش الحر هي من قامت بالخطف، كان ذلك منذ شهر، وبعد دفع المبلغ، اتضح أن أحد الشبيحة هو من قام بهذه العملية ليحصل على المليون ليرة، رغم أنه جار العائلة ومن نفس الطائفة، وصمتت العائلة من الخوف. ثم هجروا الحي، وذلك حسبما كتبت الناشطة والكاتبة السورية المعارضة سمر يزبك على صفحتها في موقع التواصل الاجتماعي.

رصاص الأسد أنهى حياة "زهرة الحرية".. وبقيت لوحاتها

جلنار أصغر ناشطة سياسية في سوريا قتلت وبقيت ذكراها تلهم الثوار

اتخذ اسم جلنار الذي يعني وردة الرمان في اللغتين الفارسية والتركية، في سوريا معنى آخر، وإن اشترك الدم مع لون الرمان الأحمر.

فقصة جلنار السورية، أو "زهرة الحرية" كما أطلق عليها ناشطون في مواقع التواصل الاجتماعي، تحمل عدة أبعاد، فهي طفلة لم تكن تبلغ من العمر سوى سبعة أعوام عندما قضت في الرابع من فبراير الماضي برصاصة لجنود النظام عندما كانت تنظر من شباك غرفتها لتعرف ماذا يجري في الخارج. وبعد أن رسمت العديد من اللوحات التي مجدت الثورة وانتقدت النظام، على الرغم من صغر سنها، فاستحقت عن جدارة لقب ريشة الثورة البريئة.

لكن قصتها لم تنته عند مقتلها، الذي كان مؤثراً في مدينتها، ما دفع العديد من النشطاء في دمشق إلى تدشين العديد من الصفحات التي تحمل اسمها في مواقع التواصل الاجتماعي، خصوصاً أن قوات الأمن منعت مشيعيها من الرجال من دفنها، الأمر الذي اضطر نساء المدينة إلى مشاركة والدتها في دفنها.

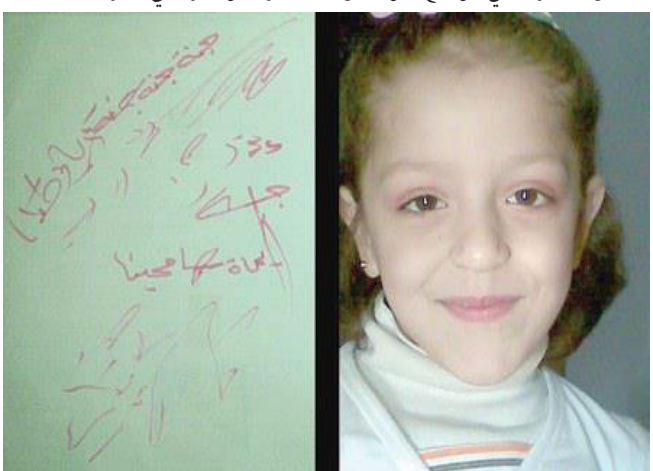

وقد أضحى مقتل جلنار حدثاً ملهماً للثوار الذين وجدوا في اسمها عنواناً جديداً لكتابة ثورتهم، ورمزاً للطفولة الثائرة بوجه النظام، فالحديث عن مشاركاتها السابقة في المظاهرات الشعبية، ورسوماتها الداعمة للثورة لا ينتهي.

فجلنار التي حاول النظام معاقبتها على رسوماتها الداعمة للثوار، أضحت بعد موتها رمزاً للطفولة المستباحة، فيما رسوماتها تحتل صدر المعارض الدولية.

وعلى الرغم من أن جلنار رحلت، لكن قصتها بقيت وكذلك رسوماتها التي جسدت في تاريخ سوريا الحديث قصة أصغر ناشطة سياسية اختلطت ألوان ريشتها الصغيرة بأحلام كبيرة طالما هتفت من أجلها طلباً للحرية.

أطفال حلب: حياة يومية على وقع القصف!

قذيفة لم تنفجر في إحدى مدارس بنش

يقول الطفل احمد ردا على سؤال: "هل أنا خائف؟ لا، لقد تعودت الآن"، ويتابع اللعب بالكرة في احد شوارع حي سيف الدولة على بضعة مئات الأمتار من مناطق الاشتباكات في حلب التي تتعرض منذ شهرين لقصف مستمر بالطائرات والقذائف.

ويسكن الطفل ابن الثانية عشرة مع شقيقتيه وشقيقه ووالديه في منزل الجد الذي انتقل للعيش فيه أعمامه منذ أن غادرت الأسرة منزلها في حي صالحين الذي يتعرض لقصف مستمر من طيران ومدفعية الجيش السوري.

وعلى غرار الكثير من أطفال سوريا لا يذهب احمد إلى المدرسة بسبب أعمال العنف. ويقول الطفل بهدوء: "دمروا مدرستي وربما سيدمرون منزلي قريبا".

ويرتجف صوته قليلا عندما يتحدث عن الغارة الجوية التي سحقت الاثنين بنايتين سكنيتين في حي المعادي بوسط حلب التاريخي مخلفة خمسة شهداء.

وقال احمد: "ماتت زوجة عمي مع ابنتيها، قصفوهم فانهار منزلهم ولم ينج سوى عمي وأصيب بجروح في كل جسمه".

وأوضحت أمه "عثروا على زوجة أخي ميتة وطفلتيها في حضنها".

وحذرت منظمة "سيف ذي شيلدرن" غير الحكومية مؤخراً من الصدمة التي يعاني منها العديد من الأطفال السوريين الذين يشاهدون الجرائم والتعذيب وغيرها من الفظائع في النزاع الذي أسفر عن مقتل أكثر من ثلاثين ألف شخص خلال 18 شهرا.

وجلست شهد (8 سنوات) وآية (7) وحمود (3) على كراسي بنفسجية في قاعة الجلوس يطعمون قطا صغيرا تسلل إلى البيت فتات من الخبز.

وقالت شهد التي كشفت عبر ابتسامتها عن خلو فمها من بعض الأسنان: "في الليل عندما نكون نائمين، يوقظنا أبي وأمي عندما يبدأ القصف.. في البداية صحيح كنا نخاف، ليس الآن".

وفي حين قالت آية على غرار شقيقها إنها "تعودت" على وقع الانفجارات ودوي رصاص القناصة المتمركزين في المباني المحيطة بها، أقرت شهد بأنها تخاف وتقول: "في التلفزيون رأيت الكثير من الجثث على الأرض". وأوضحت أن "في كل قصف نختبئ، ننزل إلى القبو أو نذهب إلى المسجد لأن كل الناس تموت.. أبي لا يتركنا ننظر كي لا نصاب بكابوس".

وصنع الأب أيمن (36 سنة) أرجوحة علقها في السقف في مدخل البناية.

وقالت شهد التي ارتدت ثوبا اصفر: "نحن البنات كنا في الماضي نلعب في الشرفات لكن الآن لم تبق شرفات، لقد سقطت".

وبإمكان شقيقها أن يغامر ويلعب بالكرة خارج المنزل لكنه لا يبتعد كثيرا، فأيمن وزوجته حريصان على أن يظل أبناؤهما على مرأى منهما. وعندما ينطلق فجأة دوي القذائف ورشاشات الكلاشنيكوف يجمعونهم في المنزل قبل غلق البوابة الحديدية.

لكن في حلب لم يبق احد في مأمن، لا سيما وأن شرفة قاعة الجلوس التي تقضي فيها العائلة يومها تطل على شارع مفتوح قد تقتحمه القذائف ورصاص القناصة في أي وقت.

النظام السوري يهدم مئات المنازل في دمشق لتحصين مراكزه الأمنية وتوزيع الأراضي على تجار عقارات موالين!

ينتهج النظام السوري سياسة جديدة للانتقام من الأهالي المعارضين له، تقضي بهدم منازلهم من دون إعطائهم حتى مهلة لإخراج محتوياتها. وبينما يقول نشطاء إن النظام يسعى لتعزيز مراكزه الأمنية، أصدر بشار الأسد مرسوما بإحداث منطقتين تنظيميتين جديدتين في المناطق التي يجري هدمها، وذلك بهدف توزيع هذه المناطق على تجار عقارات موالين للنظام بعد سحبها من أصحابها الحقيقيين بحجة إقامة مشروعات عقارية متطورة!

وفي هذا السياق، يشير الناشط محمد السعيد في حديث لصحيفة الشرق الأوسط اللندنية إلى أزمة حقيقية يتخبط فيها سكان هذه المنازل قبل فصل الشتاء لافتا إلى أن ما يزيد على 500 عائلة اليوم هدمت منازلها من دون سابق إنذار.

وفي التفاصيل يقول السعيد: "لقد هدمت قوات النظام المنطقة الصناعية بكاملها في حي القابون كما البيوت المحيطة بها في حين تعتبر هذه المنطقة أكبر سوق لقطع السيارات في العاصمة دمشق، وهي اليوم قد سويت بالكامل مما ترك خسائر فادحة بملايين الدولارات"، مشيرا إلى أن "النظام كان قد أعلن قبل 3 سنوات رغبته في إزالة هذه المنطقة كونها تشكل عائقا من حيث ضيق مساحتها مما يتسبب بزحمة خانقة، إلا أن مباشرة الهدم بشكل فجائي اليوم من دون مقدمات أو تعويضات يندرج في إطار الهدم الانتقامي الذي ينتهجه النظام في العاصمة".

ويكشف السعيد أن قوات الأمن "هدمت كذلك منذ يومين 8 أبنية مسكونة في حي الزهور وهجرت أهلها بهدف تحصين المراكز الأمنية المنتشرة في المنطقة، ومنها فرع الدوريات وفرع فلسطين"، ويضيف: "كما شهد حي الحجر الأسود عملية هدم ما يزيد على 180 منزلا و150 محلا تجاريا، علما بأن هذا الحي أصلا مليء بالنازحين".

ويتحدث السعيد عن "سياسة هدم ينتهجها النظام في العاصمة مقابل سياسة حرق يتقنها في الريف"، لافتا إلى أنه "مؤخرا أحرق 75 منزلا في حي السنديانة في دوما ودمر الأسواق هناك بالكامل".

وتتلاقى المعلومات التي كشف عنها السعيد مع ما تحدث عنه ناشطون لمنظمة "آفاز" عن أن القوات النظامية ما زالت مستمرة منذ شهرين وحتى الآن بحرق وهدم بيوت المدنيين في منطقة القابون في العاصمة دمشق، حيث قال أبو عمر القابوني: إن "هناك محل تجاري، إضافة إلى بيت في المنطقة الصناعية في منطقة القابون قد هدموا بالجرافات بحماية من عناصر الجيش والقوى الأمنية خلال الشهرين الماضيين" مع العلم أن القوى الأمنية طالبت سكان بيت في المنطقة الصناعية بإخلاء بيوتهم قبل ستة أيام، وقالوا للأهالي بأنه من الممكن هدم الحارة خلال الأيام المقبلة".

وأكد الناشط أبو بكر هذه الأرقام قائلا: "إن هناك لجنة بالحي تقوم بإحصاء البيوت التي تعرضت للهدم والحرق، وعلى الرغم من أن بعض البيوت هي بيوت عشوائية ولكن السلطات لم تنذر أصحابها مسبقا بل أمهلوهم ساعتين لأخذ حاجياتهم الضرورية من المنزل".

وتشير المعلومات إلى أن عمليات اقتلاع أشجار الصبار في بساتين الرازي وسياسة الهدم التي تنتهجها قوات الأسد "تخفي وراءها مخططا لصفقة مع تجار الأزمات لحذف المواطنين الفقراء الذين يسكنون هذه المناطق ورميهم خارجها دون حقوق حقيقية".

ونُقل عن "عراب الصفقات العقارية" عبد الفتاح اياسو حديثه عن الاقتراح المتمثل بإحداث منطقة تنظيمية جنوب دمشق على مساحة 600 هكتار تشمل بساتين الرازي في المزة وفي كفرسوسة وجنوب المتحلق الجنوبي وداريا وقنوات بساتين والقدم والعسالي والدحاديل ونهر عيشة.

وركز اياسو على بساتين الرازي التي ستكون هي الحصة الأكبر من التنظيم على مساحة 233 هكتارا، وأن التوجه في محافظة دمشق لاقتراح قانون في هذا الشأن يأتي في سياق ضمان حقوق المالكين والشاغلين، والتنفيذ السريع لإنجاز منطقة تنموية عمرانية وإيجاد كثافات سكنية متنوعة مع تحقيق تمازج اجتماعي وتكامل مع الجوار وتوفير الخدمات الاجتماعية والبنية التحتية الكاملة وتحقيق مشاركة المالكين في المشاريع الاستثمارية والاقتصادية من خلال تخصيصهم بأسهم تنظيمية من المقاسم الاستثمارية والتجارية والمحافظة على المناطق الخضراء.

وهذه "ليست المرة الأولى التي تقوم فيها محافظة دمشق بالتواطؤ مع تجار العقارات بسلب حقوق المالكين وتعويضهم بسكن دون المستوى مصيره أن يبيع المواطن حصته ويذهب إلى الضواحي، وهو جزء من طرد أهالي دمشق خارجها" وفق الموقع ذاته.

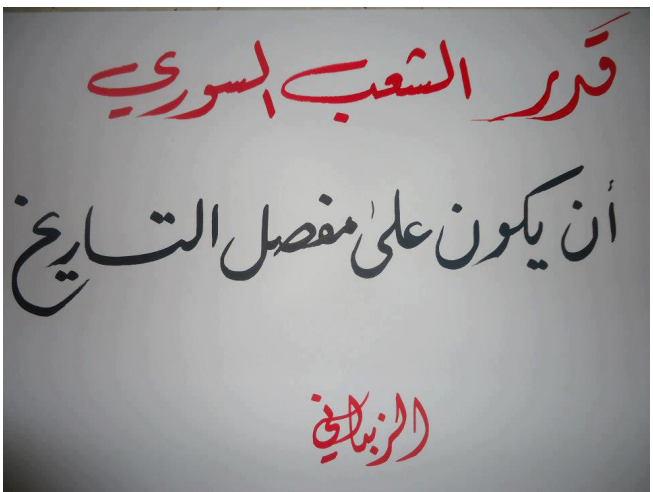

مؤتمر الإنقاذ الوطني..

المعارضة برعاية روسية إيرانية

■ ياسر مرزوق

في زمن السلاح، زمن المجازر والاشتباكات في كامل الأرض السورية. وصوت القتال يصم الآذان، لتنكفئ بوادر الإصلاح، وتئن دمشق أمام مصيرها المجهول. وبينما يحمل رأس النظام البندقية بيمينه، معلناً حرباً صريحة وواضحة على شعبه، وبينما تحقق المعارضة المسلحة مكاسب على الأرض، كفيلة بتغيير المعطيات الدولية، مع ما للتسليح من مآس وكوارث نقرها جميعاً، تدعو "هيئة التنسيق الوطنية" لمؤتمر لإنقاذ سوريا.

في ملفنا اليوم نلقي الضوء على هذا المؤتمر، بعيدين كل البعد عن سياسة التخوين والتقزيم لأي من المشاركين فيه، ملتزمين في الوقت عينه ببديهية مفادها أن العمل السياسي لا يبنى على سمعة الرجال ونزاهتهم فقط، والحكم عليه لا يكون بناءً على حسن النوايا، والتي يكاد الشعب السوري مجمعاً على توافرها عند المجتمعين..

بدا واضحاً أن هذا المؤتمر جاء في سياق الرهان الروسي على بلورة قطب سوري معارض في الداخل. ما يؤكده الطلب الروسي بتأجيل انعقاده من 12 وحتى 23 أيلول الحالي، ليوافق انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث تطمح الدبلوماسية الروسية إلى إحداث تعادل مع الغربيين الذين يرعون «المجلس الوطني السوري»، وقسماً واسعاً من معارضة الخارج في «مؤتمر أصدقاء سوريا»، عبر دفع معارضة الداخل إلى امتلاك برنامج يفتح الطريق أمام عملية سياسية ترعى موسكو جزءاً واسعاً منها.

أما عن المؤتمر، فسأنقل لكم هذه الصورة العبثية، فقد حضر الإعلام السوري الرسمي، والشرطة السورية بدت حاضرة بقوة لتوفير أمن مندوبي أكثر من عشرين حزباً وتجمعاً سورياً معارضاً حول فندق "أمية" وقد خضع جميع المشاركين لتفتيش من الحواجز الأمنية المنتشرة في محيط الفندق المذكور، هذه الحواجز عينها التي اعتقلت ثلاثة من قيادات الهيئة التي أعلنت في بيان لها أن الدكتور عبد العزيز الخير رئيس مكتب العلاقات الخارجية في الهيئة، والمهندس إياس عياش عضو المجلس المركزي للهيئة، والسيد ماهر طحان عضو الهيئة تم اختطافهم على طريق مطار دمشق الدولي وأكدت تواجدهم في "شعبة المخابرات الجوية" وحملت السلطات السورية المسؤولية عن سلامتهم وطالبت بالإفراج عنهم فوراً.

لم يتوقف العبث هنا. فقد كان بارزاً حضور السفير الروسي "عظمة الله كولمحمدوف"، الذي كان ثاني المتحدثين في الجلسة الصباحية، بعد رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر رجاء الناصر. والذي تحدث قائلاً إن الهدف "الرئيس هو وضع حد للعنف بشكل فوري من طرف الحكومة أو المجموعات المسلحة، والهدف الآخر، وهو ليس أقل أهمية، هو تحويل المجابهة الحالية بين السلطات والمعارضة إلى مجرى الحل السياسي". دون أن يعقب أحد من المعارضين على تسمية المجموعات المسلحة، ودون الإشارة إلى أن هذه المجموعات هي عناصر وطنية، حملت السلاح بداية لحماية الحراك السلمي، ودون الإشارة إلى أن اختزال سلوك النظام الذي لم يتورع عن دك المدن ببراميل محملة بأنواع من القنابل والمتفجرات، تحيل الأرض جحيماً بمسمى العنف من الطرفين مجانب لأبسط قواعد العدالة.

أما نجم العبث فكان حضور السفير الإيراني "محمد رضا شيباني"، إيران التي أعلن القائد الأعلى للحرس الثوري فيها عن وجود أفراد من فيلق القدس التابع للحرس الثوري في سوريا ولبنان، والتي تستخدم المجال الجوي العراقي في نقل إمدادات إلى قوات النظام السوري، والتي أكد مسؤولوها أنها لن تتخلى عن النظام السوري ولن تسمح بسقوطه بأي شكل من الأشكال. في حين كان العنوان العريض للمؤتمر إسقاط النظام بكل رموزه..

انعقد المؤتمر ربما بشجاعة المجتمعين وإصرارهم، وربما بغطاء روسي ونجحت الهيئة في إضافة مؤتمر وورقة جديدة في يوميات السوريين، هيئة التنسيق والتي عوضاً عن تكثيف الجهود المختلفة لتحسين أداءها والسعي لزيادة نفوذها في الداخل وخصوصاً في أوساط شباب الثورة، وظفت كل جهدها في النشاط دولي، وأقامت أفضل الصلات مع روسيا والصين وإيران أصدقاء النظام، هذه الصلات التي لم تستطع الضغط على النظام للحد من العنف الذي ازداد بوتائر متسارعة مما زاد في نسبة القتل والدمار وزاد من عدد المهجرين في الداخل والخارج هذه الزيادة تتحمل مسؤوليتها السلطة وحلفائها معاً، وأتت الدعوة للمؤتمر تتويجاً للسياسات التي تؤدي بشكل واع إلى تقسيم المعارضة، وإلى إضعاف المبادرات الدولية المختلفة التي تهدف لإنهاء معاناة السوريين، كما تؤشر لواقع الخضوع لشروط النظام، مما سيزيد من عنفه وجبروته من قتل واعتقال وقصف للمدن.

أما عن مضمون المؤتمر فسننقل الورقة التي دعت إليها الهيئة بحرفيتها والتي تم إقرارها لاحقاً:

وها نحن اليوم ندعوكم إلى مؤتمر الإنقاذ الوطني ونرفق بهذه الرسالة أوراق المؤتمر الأولية:

1 - تصور الوضع الحالي والمخاطر التي تتعرض لها سوريا وسبل الخروج منها.

2 - ملامح سوريا المقبلة.

3 - إعلان المبادئ الأساسية.

وذلك لكي تجري قراءتها النقدية واقتراح ما ترونه مناسباً من ضروب التصويب والتصحيح عبر قواعد المؤتمر وطرائقه، ولتشكل خلفية القرارات والبيانات الصادرة عن المؤتمر، علماً أن القوى الموقعة على المسودة كانت قد اتفقت على أسس ومرتكزات تبدأ بإسقاط النظام بكافة رموزه ومركزاته، من أجل بناء الدولة الديمقراطية المدنية والتأكيد على نبذ الطائفية والمذهبية وعلى الثورة السلمية المدنية وحمايتها، وضرورة استعادة الجيش النظامي لدوره الحقيقي الذي أنشئ من أجله، وانتزاعه من يد النظام الذي زجّه في مواجهة شعبه، وتحمل النظام المسؤولية الأساسية في خلق المناخات التي تستدعي التدخل الأجنبي، والعمل على حماية المدنيين وفق القانون الدولي، والتأكيد على الوجود القومي الكردي في سوريا بوصفه جزءاً أساسياً من النسيج الوطني السوري، جدير بأن تعنى به مبادئ دستورية واضحة في إطار وحدة سورية أرضاً وشعباً.

هذا هو مؤتمرنا الذي ندعوكم إليه واضحاً وصريحاً بلا أية مواربات أو خفايا وننتظر منكم المسارعة إلى المشاركة الفاعلة النقدية التي تحاول أن تكون على مستوى ثورة شعبنا ومحنته التي لا يكاد أن يكون لها نظير.

اللجنة التحضيرية:

اعترافها بأنّ «القوى والأحزاب الوطنية والديمقراطية» هي الأكثر تأخراً بين مكونات الثورة السورية. وضعت اللجنة التحضيرية لـ«المؤتمر الوطني لإنقاذ سوريا» مجموعة أسس ومبادئ مرفقة بتصوّر الوضع الحالي والمخاطر التي تتعرض لها سوريا وسبل الخروج منها، كما قدمت ورقة عن «ملامح سوريا المقبلة».

وشدّدت اللجنة في ورقتها على إسقاط النظام بكل رموزه ومرتكزاته، بما يعني ويضمن بناء الدولة الديمقراطية المدنية. والتأكيد على النضال السلمي كإستراتيجية لتحقيق أهداف الثورة، إذ اعتبرت اللجنة أن عسكرة الثورة (بمعنى تسليح المدنيين فيها) خطر على الثورة والمجتمع، فيما رأت أنّ «الجيش الحر» ظاهرة موضوعية نشأت بسبب رفض أفراد من الجيش السوري قتل أبناء شعبهم المتظاهرين سلمياً، ومن هذا المنطلق يعتبر الجيش الحر مكوناً من مكونات الثورة «وعليه دعم وتعزيز وحماية الإستراتيجية السلمية للثورة». كما ورد «ضرورة استعادة الجيش النظامي لدوره الوطني الذي أنشئ من أجله وانتزاعه من يد السلطة، وعلى أهمية أن تكون مهمة الجيش الأساسية هي استعادة الأراضي المحتلة ومواجهة المخاطر التي تهدد أمن سوريا، والمساهمة في حماية الأمن القومي باعتبار الصهيونية العدو الرئيسي لسوريا وشعوب المنطقة».

وشملت الورقة المطروحة اعتبار «الوجود القومي الكردي جزءاً أساسيا وتاريخيا من النسيج الوطني السوري، ويجب تأكيده من خلال مبادئ دستورية واضحة وحل قضيته حلاً ديمقراطياً عادلاً في إطار وحدة سوريا أرضاً وشعباً».

ملامح سوريا الجديدة:

تشير الورقة إلى أنّ «ملامح سوريا الجديدة» تتحقق من خلال نظام جمهوري ديموقراطي مدنيّ تعدّدي. ولا يجوز فيه الاستئثار بالسلطة أو توريثها بأيّ شكل كان. كما تلفت إلى أنّ سوريا جزء من الوطن العربي، وتتطلّع إلى توثيق مختلف أشكال التعاون والتوحّد مع البلدان العربيّة الأخرى.

كما يلتزم الشعب السوري بدعم الشعب الفلسطيني وحقّه في إنشاء دولته الحرّة السيّدة المستقلة وعاصمتها القدس، وكذلك دعم كلّ الشعوب العربية في تطلعاتها التحررية ومناهضة الاستبداد. وتقوم الدولة السورية على الفصل التام بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وعلى مبدأ تداول السلطة عبر الانتخاب السرّي والحرّ، فيما يقرّ دستور جديد أسُس النظام الديمقراطي التعدّدي والنظام الانتخابي، بحيث يضمن حق تمثيل كل أطياف الشعب السوري في السلطة التشريعيّة وكل المناطق، ويكفل حق وجود كل التيارات الفكرية والسياسية، دون هيمنة أحدها، ضمن قواعد تؤمّن استقرار النظام البرلماني والتداول على الأغلبية من خلال الاقتراع العام. ويصون رئيس الدولة الدستور والأمن القومي ومبدأ الفصل بين السلطات. يتمّ انتخابه بالاقتراع العام المباشر، ولا يجوز تمديد مهمّته لأكثر من فترتين رئاسيتين، مدّة كلّ منهما أربع سنوات.

«تصور الوضع الحالي» و«المرحلة الانتقالية»:

انتقدت المسودة، على صعيد «تصور الوضع الحالي» و«المرحلة الانتقالية»، إصرار النظام على الحل الأمني والعسكري وإغلاقه أبواب الحلول السياسية. «كما أدى استخدام القوة العسكرية في مواجهة المناضلين السلميين إلى أزمة أخلاقية لدى عناصر من الجيش السوري على اختلاف رتبهم دفعتهم إلى مغادرة قطعاتهم العسكرية والتحاقهم بالعمل الثوري في ما سمي ظاهرة الانشقاق التي تطورت إلى تشكل الجيش الحرّ بشكل عفوي من هذه العناصر وعناصر مدنية جنحت إلى الحل العسكري».

وركزّت الورقة على ازدياد التوترات والضغوط على التمايزات الدينية والطائفية والقومية «ما يهدد الوحدة المجتمعية في البلاد»، ما زاد من شحن المشاعر الطائفية والدينية المتشددة وتحريض السوريين على قتل بعضهم بعضاً، ما سهّل دخول مجموعات محلية وإقليمية ودولية معادية للديمقراطية بأجندات دينية وطائفية ومذهبية على خط العسكرة، ما يهدد بحرف الثورة عن مسارها، ورأت المسودة أنّ الحلّ السياسي «الذي يحقّق آمال شعبنا وتطلعاته يجب أن يمرّ بمرحلتين»، تمهد فيهما الأولى للثانية.

إذ تنجز في المرحلة الأولى الخطوات الآتية:

1 - وقف فوري فعلي لإطلاق النار وإعلان هدنة في كل أنحاء سوريا.

2 - سحب الجيش بالكامل، من جميع أماكن انتشاره، وإعادته إلى مراكز وجوده قبل 15 آذار 2011.

3- الإفراج الفوري عن المعتقلين السياسيين والمخطوفين كافة على خلفية الأحداث وغيرها.

4 - السماح بالتظاهر والاحتجاج السلمي دون قيد يتعلق بالزمان أو المكان أو الشعارات، وإعلان ذلك في وسائل الإعلام الرسمية.

5 - السماح لوسائل الإعلام المحلية والعربية والعالمية بالقيام بمهماتها لتغطية الأحداث في سوريا.

6 - العمل فوراً على إعادة المهجرين إلى بيوتهم وتقديم كل ما يلزم لتسهيل تحقيق هذا الغرض. وستعقد ورشة خاصة بإعادة البناء ومستلزمات وإعادة المهجرين والنازحين.

7 - استعادة النضال السلمي كإستراتيجية أساسية في النضال من أجل التغيير.

المرحلة الثانية:

تبدأ المرحلة الثانية بالتفاوض بين المعارضة وممثلين عن النظام ممن لم تتلوث أيديهم بالدماء والفساد، على الخطوات والآليات الضرورية لتنفيذ انتقال آمن للسلطة، وذلك على أرضية التوافقين العربي والدولي المتجسدين بمبادرة الجامعة العربية والبيان الختامي لمجموعة العمل من أجل سوريا الصادر في جنيف.

ثانياً، تكليف شخصية وطنية معارضة يتمّ التوافق عليها بتشكيل حكومة وحدة وطنية مؤقتة تتمتع بكامل الصلاحيات الدستورية (التشريعية والتنفيذية) لقيادة الدولة تعمل خلال المدة الممنوحة لها على تنفيذ كل التدابير الضرورية لإشاعة مناخ من الديمقراطية، بما فيه إعادة هيكلة المؤسسات القائمة وحل بعض الأجهزة الأمنية وإعادة هيكلتها، وكل ما من شأنه أن يساعد على إيجاد المناخ المناسب لإجراء انتخابات حرة لتشكيل جمعية تأسيسية. ورأت الورقة أنّه لا بدّ من مجموعة تدابير لتحقيق هذه الأهداف، وهي: - إعادة هيكلة الجيش على أسس وطنية، وإيجاد الحلول المناسبة لإعادة الوحدة لمؤسساته ومعالجة الشرخ الحاصل. - معالجة الفراغ الأمني وإيجاد المؤسسات الشرعية المخولة بالتعامل مع حالات الفوضى، وإشاعة الأمن والاستقرار في البلاد. - تشكيل لجنة وطنية عليا هدفها إجراء مصالحة وطنية بين كل أطياف المجتمع السوري. - تضع الجمعية التأسيسية، التي يتم انتخابها، دستوراً مؤقتاً للبلاد، يحدد العلاقة بين السلطات ويرسم دور كل منها، ويحدد أسس الانتخابات العامة للبلاد. - تتم الدعوة إلى انتخاب مجلس نيابي ورئيس للدولة، وبهذا تنتهي المرحلة الانتقالية وينتهي عمل الحكومة المؤقتة، وتنتقل سوريا إلى المؤسسات الشرعية الكاملة وتتشكل حكومة جديدة وفقاً للأسس التي أقرّها الدستور الجديد. كما تبنّت اللجنة التحضيرية «وثيقة العهد الوطني لسوريا المستقبل» التي أقرّت في القاهرة.

يبدو البيان الختامي للمؤتمر على الرغم من رفعه سقف المطالب بشكل واضح، نسخة معدلة من مبادرة "كوفي عنان" والمؤتمرات السابقة للمعارضة، لكن اللافت أنه في الوقت الذي تنادي فيه كل المنظمات الحقوقية العالمية بإحالة مرتكبي جرائم الحرب في سوريا إلى القضاء الدولي، لم يشر البيان إلى محاكمة القتلة، وهو المبدأ الأساسي لتطبيق مفهوم العدالة الانتقالية.. ويبدو السؤال مشروعاً: هل يريد المجتمعون إعادة عقارب الساعة للوراء في تجاهل واضح لحتمية التاريخ، ولآلاف الشهداء وملايين المهجرين.. فعلى فرض وقوع معجزة أدت لقبول النظام بالمبادرة، هل يتحتم على السوريين النزول للشوارع للتظاهر والمطالبة بإسقاطه ثانية.. لتتوالى المعجزات ويستجيب النظام لصوت الشارع وتدخل البلاد في المرحلة الانتقالية.. وتحذف من ذاكرة السوريين عام ونصف من الجحيم.. وكأن شيئاً لم يكن.. ويرحل النظام وأركانه دون محاسبة.. لتكون الثورة السورية ثورة بيضاء ولننسى حمام الدم المستمر حتى هذه اللحظة.. ؟

هذا وقد أعلن تيار بناء الدولة السورية المعارض مقاطعته لـ «المؤتمر الوطني لإنقاذ سورية». كما أعلن قياديون من «المنبر الديمقراطي» السوري المعارض مقاطعتهم المؤتمر، وفي ذات السياق، انسحبت "حركة معاً" أمس من هيئة التنسيق.

أما المعارض والاقتصادي عارف دليلة فيرد على المشككين بجدوى عقد المؤتمر «بضرورة أن يبدأ الجميع، وخاصة السلطة، بالاعتياد على أن المواطن السوري في أمسّ الحاجة للحرية أكثر من حاجته للخبز، والذين يعتقدون بأن الحرية تقود للفوضى يتناسون أن غيابها سبب رئيسي للفوضى والدمار، ولو أنها الشكل الذي قامت عليه الممارسة السياسية في العقود السابقة ما انزلقت البلاد إلى هذا المنزلق الخطير الذي حذرنا دوماً من عواقبه في ظل استمرار التطورات اليومية في سوريا نحو العسكرة، فالمطالب المحقة هي أن يشعر الإنسان بأنه إنسان، وذلك بتعبيره عن رأيه الحر، وحقوق المواطنة مفقودة منذ عقود مضت، وهذه التراكمات لم تكن سوى السبب الرئيس للثورة».

ويعتبر دليلة أنه «لا يمكن ترتيب الأولويات للمعارضة بشكل قسري، لكن الأكيد هو الهدف المتمثل بوقف العنف والدمار والقتل، وبدء عمليات الإغاثة وتمكين المواطنين من العودة لحياتهم بعيداً عن الخوف والدمار والموت اليومي».

كما رفض المتحدث باسم الجيش الحر المؤتمر، قائلاً «النظام يحاول دائما التفاوض مع نفسه.. هذه ليست معارضة حقيقية. هذه ليست سوى الوجه الآخر للعملة نفسها. لن تكون لنا علاقة بهذه الجماعات».

في الختام أشار رأس النظام في تصريحه الصحفي الأخير، إلى قبوله بعض الشخصيات المعارضة التي تدعو إلى التحول السلمي من دولة الحزب الواحد إلى الحكم الديمقراطي، ويشير حلفاؤه إلى المعارضة الداخلية باعتبارها مؤشراً على جدية الرئيس في التغيير.. ولنا أن نرجو أن لا يكون هذا المؤتمر مؤتمراً للمعارضة اللطيفة التي يحبها النظام والتي تدعو إلى تغيير النظام والمحافظة عليه في آنٍ واحد.

بين التعصب والانتماء (1)

■ خالد كنفاني

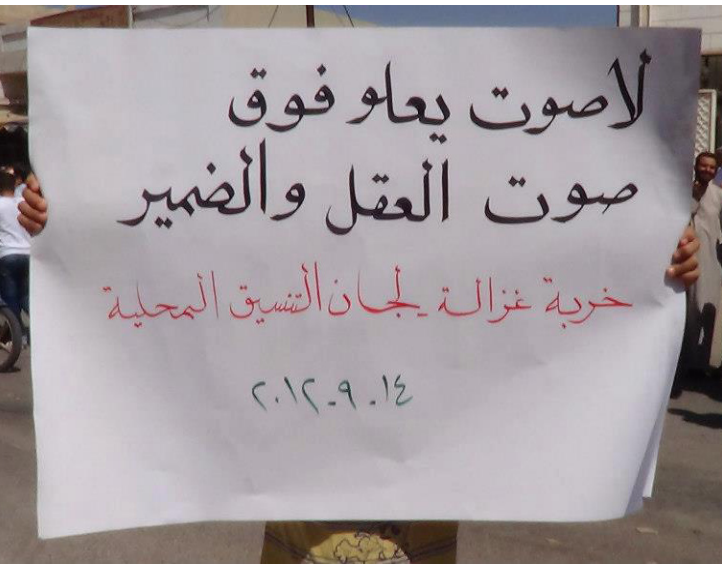

يفخر أي إنسان بانتمائه لأية مجموعة بشرية وذلك يشمل البلد أو القرية أو العشيرة أو الطائفة أو الدين أو المدينة أو حتى الشارع. وتتمايز شعوب الأرض في مدى احتفائها بقومياتها أو عرقيتها حسب الخلفيات التاريخية والتطور الاجتماعي في كل مجتمع.

إن مسألة الانتماء والهوية هي من أعقد القضايا داخل أي مجتمع أو دولة، وتثور هذه المسألة بين الحين والآخر لتوقظ في نفوس الناس مشاعر يخالها المراقبون نائمة أو لتخمد في نفوسهم مشاعر أخرى وفقاً للمتغيرات الدولية والمحلية والاقتصادية والإجتماعية. ومن الكذب الادعاء أن مجتمعاً ما مهما بلغ من التطور يخلو من مسائل كهذه ولكن حدة النقاش أو الحوار حول مسألة الهوية هو ما يعكس درجة التطور والتقدم في هذا المجتمع أو ذاك.

وبطبيعة الحال لن تكون سوريا استثناء عن أي تجمع بشري على وجه الأرض، بل على العكس قد لا نبالغ إذا قلنا إن سوريا تحتوي بين أطرافها الأربعة فسيفساء عرقية وقومية وإثنية عالية التعقيد وبالغة التنوع إلى درجة قد لا ينافسها فيها سوى القليل من بلدان العالم، وفهم العلاقات الاجتماعية وطبيعتها بين كل مركبات هذه الفسيفساء هو ما يحدد شكل وملامح هذا الوطن الذي يتمزق اليوم جغرافيا وسياسيا بعد أن عانى من التمزق الاجتماعي عبر عقود طويلة ما بعد الاستقلال وحتى اليوم.

لن يتسع المجال هنا للخوض في تعداد القوميات والطوائف والأديان والعشائر في سوريا لأن ذلك يستلزم بحثا موسوعيا وواقعيا لم يأخذ طريقه إلى النور فيما مضى لاعتبارات سياسية وديمغرافية متعددة، ولكننا سنركز كلامنا على مسألة الهوية في سوريا ومدى تعمقها وتجذرها من عدمهما لدى مختلف أطياف الشعب.

استقلت سوريا عن الاحتلال الفرنسي عام 1946 بقرار من الأمم المتحدة بإنهاء الانتداب وجلاء القوات الفرنسية عن الأراضي السورية التي تم تشكيلها بموجب خرائط سايكس بيكو عام 1916. والقول بوجود الوطن السوري كوطن واضح المعالم ومتمايز عن غيره من البلدان المجاورة هو مسالة مبالغ فيها حيث أن الحدود المرسومة آنذاك فصلت أراضي شاسعة كانت متصلة وملتحمة ببعضها وتتماهى عبرها العشائرية والقوميات. ولهذا عندما قام الفرنسيون بتقسيم سوريا إلى خمس دويلات فإنهم كانوا على علم بالتمايزات الطائفية وربما القومية بين هذه المناطق وقد سبقت لهم التجربة في لبنان عبر دولة جبل لبنان والأقضية الأخرى. ولهذا نستطيع التأكيد على أن نشوء سوريا كدولة مستقلة ومتمايزة لم يأخذ طريقه إلى نفوس السوريين كمواطنين حيث بقيت ولاءاتهم الأولى إما إلى رجال الدين أو شيوخ العشائر وكبراء العائلات. وهذا أمر طبيعي حيث أن سوريا لم تكن عبر التاريخ كياناً خاصاً ومستقلاً بدليل أن اتفاقية سايكس بيكو لقيت استنكاراً شديداً من العرب لأنها قسمت كياناً طبيعياً هو بلاد الشام إلى أربع دول تم تسليم إحداها إلى الحركة الصهيونية لإقامة دولة إسرائيل بينما تم اختراع البلدان الثلاثة الأخرى وترسيم الحدود بينها بجرة قلم. ولهذا السبب نجد من السخف اليوم أن يتم الحديث عن خلافات حدودية بين البلدان العربية نظراً لمعرفة الجميع بأنه لا توجد فواصل حقيقية بين جنوب سوريا وشمال الأردن مثلاً أو بين غرب سوريا وشرق لبنان، فهناك آلاف العشائر والعائلات ذات الانتماء الواحد وتم ببساطة رسم الحدود بين أولاد العم والأصهار وهي علاقات لا تزال مستمرة حتى اليوم. وهو ما يفسر الصعوبة الكبيرة في السيطرة على الحدود بين البلاد العربية لأن العشائرية تفوقت على الوطنية بامتياز على مبدأ "أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب".

في غمرة حماسهم للاستقلال وبدء تشكل الوطن، لم يعر الوطنيون الأوائل في سوريا المستقلة مسألة التنوع الاجتماعي والعرقي أهمية كبيرة لا على المستوى السياسي ولا المستوى الفكري الاجتماعي، ولهذا لم تكن هناك إلا بعض المقالات هنا وهناك حول التنوع الديمغرافي والمناطقي في سوريا حتى أن مسالة شائكة كالمسألة الكردية بقيت عالقة وضاعت أجيال بأكملها بسبب عدم اتخاذ قرار تاريخي ينهي المسألة ويحسمها بطريقة تستميل الأكراد للانتماء للوطن، بل على العكس تم تعميق الهوة وكان جزء كبير منهم يعطى ورقة صغيرة تمكنه من إثبات شخصيته وحسب بينما تم التغاضي عن كافة حقوقه الوطنية الأخرى. وبدخول سوريا حقبة الانقلابات العسكرية بدءاً من 1949 وحتى 1970 مروراً بالوحدة السورية المصرية وانقلاب البعث وعشرات الانقلابات الفردية الأخرى ضاع الأمل في أي حوار وطني وبحث اجتماعي يغوص في أعماق هذا المجتمع الضارب في التاريخ لينتج مفهوماً جديداً للمواطنة.

بعد وصول الأسد للحكم على أنقاض سابقيه تم التعتيم بشكل كامل على أي نقاش أو حوار يستدعي المسألة الطائفية والقومية في سوريا تحت مسميات "عدم إثارة النعرات الطائفية" أو "معاداة أهداف الثورة" أو "وهن نفسية الأمة" بل وأسوء من ذلك تم الزج بعشرات المثقفين والكتاب في غياهب المعتقلات بينما فرّ الآخرون خارج البلاد هرباً من بطش النظام الذي لم يكن يسمع سوى صوته ولم يكن يرى سوى ما يريد رؤيته. وهكذا تم التأسيس من جديد لحالة من الانكفاء الاجتماعي والطبقي والعشائري والطائفي في حضور القمع وغياب الصراحة والشفافية. كان "إرهاب" الوحدة الوطنية كافياً بإخراس أي صوت يتحدث عن الاختلافات والتباينات بين مكونات المجتمع بينما كانت الطبقة الحاكمة تمارس هذا التباين بأبشع صوره عبر الامتيازات التي كانت تمنح لهذه الطبقة أو الطائفة أو العشيرة دون غيرها.

لقد مرت المجتمعات في العالم بهذه المراحل بشكل أو بآخر: من إقطاعيات متفرقة إلى نشوء القوميات إلى الصراعات المسلحة والحروب الأهلية إلى الأبحاث والدراسات الاجتماعية والنقاشات العلنية الصريحة وصولاً إلى تعريف للهوية الوطنية أو القومية وتحديد أسس الانتماء. ولهذا نجد في القانون الفرنسي مثلاً تعريفين للانتماء للأمة الفرنسية هما حق الدم وحق الأرض. فحق الدم يعني أن يكون الإنسان فرنسياً إذا ولد لأب أو أم فرنسيين، بينما حق الأرض يعني أن من يولد على الأرض الفرنسية يكون فرنسياً حتى ولو لم يكن أحد والديه فرنسياً. ورغم بعض التعديلات إلا أن ذلك لم يتم التوصل إليه إلا بعد عقود طويلة من التطور الاجتماعي والفكري وبعد قرون من التخبط السياسي والاقتصادي والذي أفرز في نهاية المطاف أمة مترابطة الأطراف يشعر أفرادها بالانتماء إلى وطن واحد رغم تعدد مشاربهم الأصلية.

لم تمر سوريا بأي من هذه المراحل السالفة الذكر، فهي لم تكن بالأساس وطناً متمايزاً كما أن تاريخها مليء بالكثير من أنواع الاحتلال والاستعمار والفتوحات والولاءات السياسية مهما كانت تسمياتها. ولهذا فإن كل مدينة في سوريا لها تاريخها الخاص الذي يتصل أو ينفصل عن تاريخ باقي المدن الأخرى وذلك وفقاً للحقبة التاريخية، ومن ذلك نرى أن مدينة كحلب على سبيل المثال مرت بفترات كانت فيها ولاية أو إمارة مستقلة بينما عاشت فترات أخرى تابعة للحكم الروماني أو الحكم العربي في دمشق وهو ما ينطبق على باقي المدن في سوريا أيضاً. وقد ساهمت الطبيعة الجغرافية في تعميق الهوة بين هذه "الجزر" المنفصلة والمتباعدة. ولهذا نجد على سبيل المثال تقارباً كبيراً بين طبائع أهل حمص وطرابلس اللبنانية مثلاً أكبر بكثير من التقارب بين طبائع أهل حمص وأهل دير الزور مثلاً وهو أمر يفهمه كل السوريين وجيرانهم في البلدان المجاورة.

كان من المضحك المبكي في كثير من الأحيان أن يتم السماح لمواطن يحمل الجنسية السورية مثلاً بدخول الأردن بينما يتم منع ابن عمه المباشر الذي يحمل الجنسية اللبنانية من دخول نفس البلد، وهكذا كذب العرب الكذبة وصدقوها بل وصاروا عبيداً لها ولم تجر أية محاولة على أي صعيد قومي لتخفيف حدة هذه المهازل التي كانت تحدث بشكل شبه يومي في مراكز الحدود بين البلدان المتجاورة والمتلاصقة اجتماعياً وعاطفياً وتاريخياً. لم تكن مسألة الهوية من أولويات الحكومات المتعاقبة في سوريا منذ الاستقلال وكل الأمثلة التاريخية التي يتم الإشارة إليها سواء سياسياً (كتولي فارس الخوري رئاسة الوزراء أو قيادة صالح العلي لإحدى الثورات السورية ضد الفرنسيين) أو اجتماعياً (كالقصص الرومانسية التي يرويها بعض أهل المدن والقرى هنا وهناك عن تناغم اجتماعي) هي أمثلة حقيقية ولكنها كانت الأقل بالمقارنة مع المجموع وكانت في معظمها مبادرات فردية أو حوادث منفصلة لم تتحول إلى مفهوم اجتماعي كامل للهوية الوطنية وذلك لأن هذا المفهوم ترك للاجتهادات الشخصية من قبل الناس الذين كانوا يميلون بشكل طبيعي لجماعاتهم الأصلية سواء كانت طائفية أو قومية أو دينية أو عرقية أو غيرها.

إن نقاش الهوية الوطنية ليس مسألة على هذه الدرجة من السهولة في بلد معقد تجتاحه حالياً رياح الحرب الأهلية على الأبواب. وإذا كنا نستخدم هذا المصطلح للمرة الأولى منذ بدء الثورة فذلك أننا بتنا نخشى فعلاً أن تنزلق الأمور نحو حرب أهلية شاملة طاحنة لن يكون فيها العدو عدواً ولا الصديق صديقاً إلا وفق معايير محددة يرسمها حامل البندقية من هذا الطرف أو ذاك. إن تزايد الأحقاد والكراهية بين مكونات الشعب لم يعد خافياً على أحد، وهو يحمل جذوره التاريخية عبر كل الممارسات الخاطئة والمنحرفة للنخب الحاكمة عبر التاريخ والتي عمدت جميعها وإن بدرجات متفاوتة على زرع الفرقة وتمييز بين الناس على أسس مختلفة ولم يكن ذلك بعمل الفرنسيين وحسب، إننا نستخدم الفرنسيين كشماعة لنعلق عليها كل أخطائنا وجرائمنا الوطنية تجاه أنفسنا. وعلينا أن لا ننسى أن الاستعمار الفرنسي لم يزن يمثل إلا خمسة وعشرين عاماً من تاريخ بلد بدأ بالظهور منذ أكثر من عشرة آلاف عام.

في الجزء القادم سنقوم بالتعمق في مسألة الهوية والانتماء من حيث هما أساس بناء أي وطن ولكن بشرط المصارحة والشفافية، وسنتوصل إلى حقيقة أن التنوع لا يتنافى مع الانتماء ولكن تعقيدات مسألة الهوية تجعل من واجبنا التفكير ملياً بشكلها النهائي الذي يضمن المساواة بين الجميع بينما يحافظ على خصوصياتهم وتنوعهم ضمن الوعاء الوطني الجامع.

فيضي الأتاسي 1899 - 1982

■ ياسر مرزوق

ولد فيضي الأتاسي في "الكرك" عام 1899 حيث كان والده "طاهر أفندي الأتاسي" قاضيها، لآل الأتاسي الأسرة العلمية الدينية والسياسية لاحقاً الغنية عن التعريف، والتي لم ينقطع تعاطيها مع الشأن العام والهم الوطني حتى يومنا هذا ثم أرسله والده إلى مدرسة "غلاطة سراي" في اسطنبول، فالتحق بالقسم الفرنسي، ثم أكمل دراسته الثانوية في مدرسة "الآباء البيض" في القدس، وبعدها سافر إلى جنيف لدراسة الحقوق في جامعتها ولم يتجاوز عمره السادسة عشرة، إلا أنه ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى في كل أوروبا عاد إلى سوريا وهناك أكمل دراسته في جامعة دمشق، فأخذ دروسه في الحقوق عن الأستاذ فارس الخوري، كما أنه نال إجازة في العلوم السياسية بالإضافة إلى إجازته في الحقوق. وحضر الأتاسي مجالس أبيه العلمية الأسبوعية، والتي كان يقصدها علماء بلاد الشام آنذاك لتدارس الأمور الشرعية الفقهية واللغة العربية، فأتقن علوم اللغة العربية إضافة للفرنسية والتركية والإنجليزية.

بدأ الأتاسي بالعمل العام مبكراً في مدينته حمص، ومع نهاية العهد الفيصلي وتقسيم سوريا، تقدم السيد فيضي الأتاسي بفكرة انتخاب ممثلين خمسة عن كل دويلة من الثلاث: دمشق، وحلب، والعلويين، يمثلون الشعب، ويشرفون على اقتراع يحدد رغبات المواطنين. ولم تجد السلطات مفراً من الإذعان إلى هذا المطلب العادل والديمقراطي، فجرى الانتخاب، وفاز عن دويلة حمص والد فيضي الأتاسي، العلامة طاهر الأتاسي، من ضمن الممثلين الخمسة، وقد استمر انعقاد هذا المجلس التمثيلي من كانون الأول عام 1922 وحتى كانون الثاني عام 1923م. أما هو فقد فاز ضمن مجلس دمشق عام 1924 عندما تم توحيد الدويلات الثلاث مبدئياً.

بدأ فيضي الأتاسي عمله السياسي كمحافظ لمدينة حماة في منتصف العشرينيات من القرن الماضي وأثناء قيام الثورة السورية عام 1925، ولما اندلعت ثورة حماة في أوائل عام 1928م رد الجيش الفرنسي المحتل بقصف المدينة بالمدافع والطائرات، فتقدمت سورية بالشكوى إلى عصبة الأمم في جنيف آنذاك، فما كان من المحتل الفرنسي إلا أن كلف الأستاذ فيضي ليكتب تقريراً ممثلاً الطرف الفرنسي لرفعه لعصبة الأمم، ظناً منه أن محافظ حماة الأتاسي، أميل إلى الجانب الفرنسي منه وأكثر تعاطفاً مع المحتل، فإذا بالتقرير يقرع بالسلطات ويبرز تجاوزاتهم في حماه لذا عُزل الأتاسي فوراً وصدر القرار بالقبض عليه، إلا أنه استطاع الهرب من حماة إلى حمص بمساعدة "الشريف نورس أفندي الكيلاني" وتوارى بعد ذلك عن الأنظار لمدة غير قصيرة إلى أن عين رئيساً لديوان المجلس التأسيسي للكتلة الوطنية التي ترأسها فخامة الرئيس هاشم بك الأتاسي، وذلك في عام 1928.

ولما استقلت سوريا عن الفرنسيين انتخب السيد فيضي الأتاسي نائباً عن مدينة حمص في المجلس النيابي مرات عديدة فمثل أهلها في انتخابات أعوام 1947 و1949 و1954 و1961 وفي أوائل نيسان عام 1948م مثل الأتاسي بلاده في المؤتمر البرلماني العالمي الذي انعقد في مدينة نيس الفرنسية ولما قام مجلس عام 1949 التأسيسي بوضع الدستور الجديد كان الأتاسي أحد المشتركين في ذلك الحدث، ثم انقلب ذلك المجلس التأسيسي مجلساً نيابياً. كما اختارته بلاده رئيساً للوفد البرلماني السوري ثانية في عام 1962 ليمثلها في اجتماع الدول ذات النظام البرلماني المنعقد في البرازيل من 22 تشرين الأول إلى الثاني من تشرين الثاني، وعضواً في لجنة الاقتصاد عندما شغل منصب النائب في الأعوام بين 1961م و1963م، والتي كان يرأسها الأستاذ أسعد الكوراني، وقد تم لهذه اللجنة أن درست مواضيع كثيرة تتعلق باقتصاد البلاد وأن نفذت مشاريع عديدة، عام 1961م انتخب الأتاسي رئيساً للجنة الشؤون الخارجية في المجلس النيابي.

ولما انفك حزب الكتلة الوطنية، شارك وابن عمه الدكتور عدنان الأتاسي في تأسيس حزب الشعب مع السيدين رشدي الكيخيا وناظم القدسي وأصبح الأتاسي من أركان الحزب وزعمائه. حتى أضحى الثالث في حزب رشدي وناظم، وكان فيضي الأتاسي مناصراً شأنه شأن حزبه للمملكة العراقية والعائلة الهاشمية.

الصف الأول من اليمين: فيضي الأتاسي نائب حمص، نائب حلب السيد الدكتور ناظم القدسي الحسني رئيس سوريا، نائب حلب السيد رشدي كيخيا الحسيني رئيس الوزراء، وفي الصف الثاني الدكتور الشيخ معروف الدواليبي نائب حلب ورئيس وزراء سوريا

كما تولى وزارة المعارف في أيلول عام 1941م في حكومة حسن الحكيم في عهد الرئيس الشيخ تاج الدين الحسني والتي استقال منها ليحل "خليل مردم بيك" محله، ليعود لنفس الوزارة في نيسان عام 1942 في حكومة حسني البرازي، ثم وزيراً للعدل والمعارف والشؤون الاجتماعية في 25 آذار 1943م في حكومة السيد عطا الأيوبي والذي ترأس الدولة بالإضافة إلى المجلس الوزاري، ثم وزيراً للمعارف والصحة والشؤون الاجتماعية في 17 نيسان 1949 في حكومة حسني الزعيم، إلا أنه رفض التكليف نظراً لأنه تم وعده بوزارة الخارجية التي كان قد قبل بها، رغم معارضة القدسي والكيخيا زعيمي "حزب الشعب" لانقلاب الزعيم، ثم وزيراً للاقتصاد الوطني في 15 آب 1949 في حكومة الرئيس هاشم الأتاسي الانتقالية والتي تشكلت إثر انقلاب سامي الحناوي، ثم وزيراً للدفاع والاقتصاد الوطني في 24 كانون الأول 1949 في حكومة السيد ناظم القدسي في عهد الرئيس هاشم الأتاسي، ثم وزيراً للعدل في 27 كانون الأول من نفس العام في حكومة خالد العظم. وبعد فترة احتدم الخلاف بين رئيس الوزارة خالد العظم، ووزير العدل فيضي الأتاسي، ما أدى إلى تقديم الأخير استقالته من الحكومة، وهذا نص كتاب الاستقالة نورده لبيان الملكات الأدبية واللغوية للأتاسي إضافة لملكاته السياسية:

"دولة رئيس مجلس الوزراء الأكرم:

تتجانس في الوزارات من الأمور التي تدل عليها أعمال الوزراء وأقوالهم. إذ صح هذا فإن الأدلة أخذت منذ حين تزدحم وتتضافر لتعلن أن التجانس في الوزارة مفقود، إذ ليس فيما يصدر عن رئيسها وأعضائها ما يدل على أنه صورة عن نهج مدروس ومتفق عليه في مجلس الوزراء، ورب شأن يتفاوت الوزراء بالعلم به مع أنهم في المسؤولية سواء، ورب شأن ثالث أردتموه أنتم فوافق عليه مجلس الوزراء، ثم تأتينا الأخبار عن استعدادكم لنقضه منفردين والازدياد، بينما ظروف البلاد في الداخل والخارج تستلزم مواجهتها بغير هذا الوضع الحكومي. تبعاً لذلك أتقدم بكتاب استقالتي هذا، ولو في غيابكم، لجهلي متى تنتهي بكم الروحات والدلج وركوبكم متون الأجواء واللجج، وأودع هذا الكتاب رئاسة ديوان مقامكم بانتظار إيابكم بالسلامة...

دمشق في 23 أيار 1950م

وزير العدلية "فيضي الأتاسي".

سمي وزيراً للداخلية في 23 آذار 1951م في حكومة القدسي ثم للخارجية في آب 1951م في حكومة حسن الحكيم، ثم وزيراً للخارجية في آذار 1954 في حكومة صبري العسلي في العهد الرئاسي الرابع للرئيس هاشم الأتاسي، وأخيراً عُين وزيراً للخارجية في 29 تشرين الأول 1954 في حكومة فارس الخوري.

بعد الوحدة مع مصر اعتزل السياسة، وعاد لمدينته حمص وعكف على ملازمة عمه السيد "مظهر الأتاسي" الذي كانت تربطه به علاقة إنسانية خاصة وظل في خدمته فلم يبارحه حتى توفي عام 1972.

توفي "فيضي الأتاسي" في تشرين الثاني عام 1982م ودفن في مقبرة العائلة في حمص.

مع الملك فيصل ملك العراق

خيمياء الثورة من الداخل (4):
حديث اللاجئين، بالعودة إن شاء اللّه!

■ د. جمال خليل صبح

مسألة اللاجئين هي بلا شك إحدى أهم تداعيات العنف الشامل الذي حوربت به الثورة السورية وأحد عناوينها الأكثر مدعاة للألم. بل لم تعد حال اللاجئين "مسألة" بقدر تملّكها عناصر المأساة كاملة بلا نقصان. ويبدو أن التفريق بين النازحين واللاجئين لا يعدو عن كونه لعبة "لغوية" ماكرة، لا تعيد الدار ولا تخفّف الإحساس العميق بالمرارة، إلا أن للمناطق "شبه" المحررة سحر "إنساني" ما، يغوي أولئك المكرهين على ترك بيوتهم وبلداتهم ومدنهم بشد الرحال حيث تيسّر، مما خفّ حمله وفاض همّه. "هلق إشو الفرق بين النازح واللاجئ إزا كلّه بالهوا سوا يا خيو!" يتسائل رب أسرة ردا على سؤال لم يألفه السوريون طوال تاريخهم الحديث باستثناءات قليلة (كما هي الحال عند مهجري الجولان المحتل مثلا!). رغم ذلك يصر "مهووسو" المصطلحات على إلصاق أولئك الذين غادروا حدود الوطن السوري صفة اللاجئين، بينما ينعم الآخرون داخل "الأسورة" بصفة النازحين، فيما تكفلت طبائع الاستبداد الشامل بوسم سيئي الحظ التاريخيين بالحسنيين دفعة واحدة "اللاجئين النازحين!" (الفلسطينيون السوريون مثلاً).

ما زالت مسألة اللاجئين في المناطق المحررة (التي وصلتُها على الأقل) تدار بعفوية "منتظمة"، فحتى الآن لا توجد هيئة "مؤسساتية" الطابع تعنى بشؤون العائلات التي آل وضعها إلى النزوح أو اللجوء إلى تلك المناطق، مع بعض المبادرات الفردية والأهلية، دون تفردها بشيء من التنسيق أو التنظيم العالي المستوى. في إحدى البلدات كان هناك ما يشبه جمعية صغيرة تم تأليفها بمبادرة من "خطيب الجامع"، الذي تعرض لحادثة خطف واعتقال على يد شبيحة النظام، نجا فيها من الموت بأعجوبة، بعد اعتقاد "خبراء" الموت أنه قد فارق الحياة. رغم صوته المتهدج وملامحه الوجهية التي طالتها الرضوض العنيفة، يخبر "أبو علي" بأنهم مسؤولون إلى حد كبير عن متابعة أوضاع اللاجئين في البلدة. حيث يعمل معه فريق من المتطوعين يصل عددهم إلى الثمانية عشر، ويتناوبون على المكتب البسيط والمجهز بدفتر للبيانات وكمبيوتر لا بأس به. "إحنا عايشين على الأجاويد يا ابني. الناس ما عم بتقصر بالمساعدة، بس الناس اللي هون نفسهن حالهن عالقد، فكيف إذا كان عندك 600 عائلة زيادة؟! من وين بدك تجيب لهن يا إبني". يجيب أبو علي ضارباً كفا بكف عن سؤال يتعلق بالإمكانيات المادية والتمويل. يحاول فريق هذا المكتب البسيط تسجيل اللاجئين وتعداد الأطفال لدى العائلات، بالإضافة إلى توثيق لحالات المرض والجرحى التي تستدعي تدخلاً طبياً "غير موجود" على الأغلب. هنا يمكن تزكية الحالات التي يتوجب نقلها إلى المشافي والمراكز الطبية في تركيا، ليصار بعدها بالتعاون مع كتائب الجيش الحر إيصالها إلى تلك المراكز التي تعج بالبؤساء وأنينهم في الغرف والممرات المكتظة. يصر أبو علي على تسجيل كل شاردة وواردة وخاصة ما يأتيهم وأين يذهب، من أكياس الرز والبرغل وصولا إلى علب السردين والمارتديلا. "هيك أخي أفضل وأضمن، واللّه السرقة هلكتنا يا جمال"، يعلق أحد الشباب المتواجدين هناك. وبينما كنت أتصفح دفتر التسجيل الكبير، دخل أحد الأشخاص يبدو متقدما في السن، ومعه كيسان كبيران من الأرز، طلب من أحد الشباب إنزالهم من السيارة. وعندما طلب منه تسجيل اسمه وكمية التبرع رفض بشكل قاطع وصارم "ما عيب نسجل على أهلنا يا إبني"، ثم مضى مسرعاً دون أن يلتفت إلى الوراء والدمع يطفر من عينيه!

في المناطق المحررة يمكن ملاحظة نمطين اثنين من حالات اللجوء:

الأول مرتبط بعلاقات قربى لعدد من العائلات التي نزحت من مناطق بعيدة نوعا ما، وذلك بعد تفاقم عمليات "التطهير" التي قام ويقوم بها النظام من قصف ومداهمات عنيفة، أتت على كل الجوانب الحياتية بحدودها الدنيا، حتى بات الوجود على قيد الحياة نفسه مهددا إلى حد كبير. ففي بلدة "بنش" مثلا، كانت مفاجأة بالنسبة لي أن عائلات كثيرة من سكان حي القابون الدمشقي ينحدرون من هذه البلدة. وهكذا بعد أن أضحى الحي هدفاً لاستعراض همجية أذرع النظام العسكرية والأمنية كافة، وبشكل متكرر، وجد هؤلاء في الرجوع مع أطفالهم وعائلاتهم إلى مدينتهم الأصلية ملاذاً آمناً نوعاً ما، رغم المرارة التي تركته في نفوسهم ترك أرزاقهم وبيوتهم المهدمة أو النصف مهدمة أو التي تعرضت للنهب والسرقة كما أخبرت لاحقا. "يلعن أبو البيوت يا إبني، ولادنا وعرضنا أهم يا بيي"، هكذا لخصت أم وليد حالها وهي تتذكر بيتها العامر في القابون، وقد اضطرت إلى مغادرته فور وصول أنباء المجازر المتنقلة التي أصبحت أقرب وأقرب. نفس الحال تقريباً يمكن مشاهدته في مناطق الشمال المحررة حيث العائلات اللاجئة الكثيرة التي تنحدر من ريف حلب والتي كانت تسكن في أحياء المدينة منذ أمد بعيد أو قريب ولأسباب شتى.

أما النمط الثاني من حالات اللجوء فيتمثل بتلك العائلات التي استطاعت الهرب من جحيم المناطق المشتعلة في الجوار، القريب والبعيد، والتي وجدت في المناطق المحررة أماناً ما، خاصة بوجود عدد كبير من النساء والأطفال بينها. يمكن القول بأن أصحاب هذه الحالات من اللجوء هم الأكثر معاناة وذلك بسبب محدودية مواردهم المادية التي "استطاعوا" الإتيان بها من جهة، وبسبب محدودية الإمكانيات العامة لمستقبليهم في هذه المناطق من جهة أخرى.

بشكل أو بآخر يمكن القول بأن مسألة تأمين الغذاء للعائلات اللاجئة المحتاجة وخاصة المواد المتعلقة بالأطفال تقع تحت السيطرة إلى حد ما وتفي بالحد الأدنى من الاحتياجات (باستثناء الدواء والمواد الطبية)، مع بعض الاستثناءات القليلة التي تنجم عن تأخر توزيع أو حصول عائلة معينة على المعونات التي قد لا تتواجد في كل الأوقات. إلا أنّ المسألة الأكثر صعوبة تتمثل في تأمين السكن لهذه العائلات وخاصة تلك التي لا أقارب لها في هذه المناطق. هناك الكثير من السكان الميسورين قدموا بيوتا يملكونها بالمجان، وخاصة للعائلات الكبيرة المليئة بالأطفال، فيما قام البعض بتأجير شقق بسيطة التجهيز بمبالغ صغيرة نوعا ما تتراوح حول 5 آلاف ليرة سورية، وقد تصل في بعض الأحيان إلى10 آلاف. وهنا أيضا تجد من يتبرع بإيجار سكن عائلة معينة لفترة ما، أو تضطر بعض الجمعيات التي أنشئت على عجل لتنظيم عملية التمويل المالي مستفيدة من علاقاتها مع بعض الأشخاص الميسورين في الداخل أو في الخارج. هذا يشير أيضاً إلى غياب الدعم المؤسساتي الممنهج من أطراف من المعارضة بشكل أو بآخر. عند سؤالي أحد الأشخاص العاملين في تأمين السكن للاجئين فيما إذا كان هناك وجودا لتمويل ما من جهة تابعة للمجلس الوطني مثلا، انفجر غاضبا ومطلقا دفقات من اللعنات والشتائم، يمنة وشمالا، منتقدا التقصير الكبير للمجلس ولأعضائه الذين "ما بيتذكروا إنو في ناس تعبانة، ناس جوعانة وما ملاقية تاكل، بس بييجوا منشان يلاقوا دبابة ويتصورا بجنبها". هنا يتدخل شاب آخر يتولى توزيع بعض المعونات بجملة "واللّه إحنا ما منعتبره موجود للمجلس الوطني، إحنا اتكالنا على اللّه وبس"!

كما هي طبائع الواقع عادة، لا يمكن القول بأن "كل" اللاجئين ينتمون إلى فئة واحدة لها نفس الميزات الاقتصادية-الاجتماعية، إن لم نقل التوجّهات السياسية أيضا. فبعد سيطرة مقاتلي الجيش الحر على أحياء كثيرة من مدينة حلب مثلا، واستهال النظام قصف هذه الأحياء

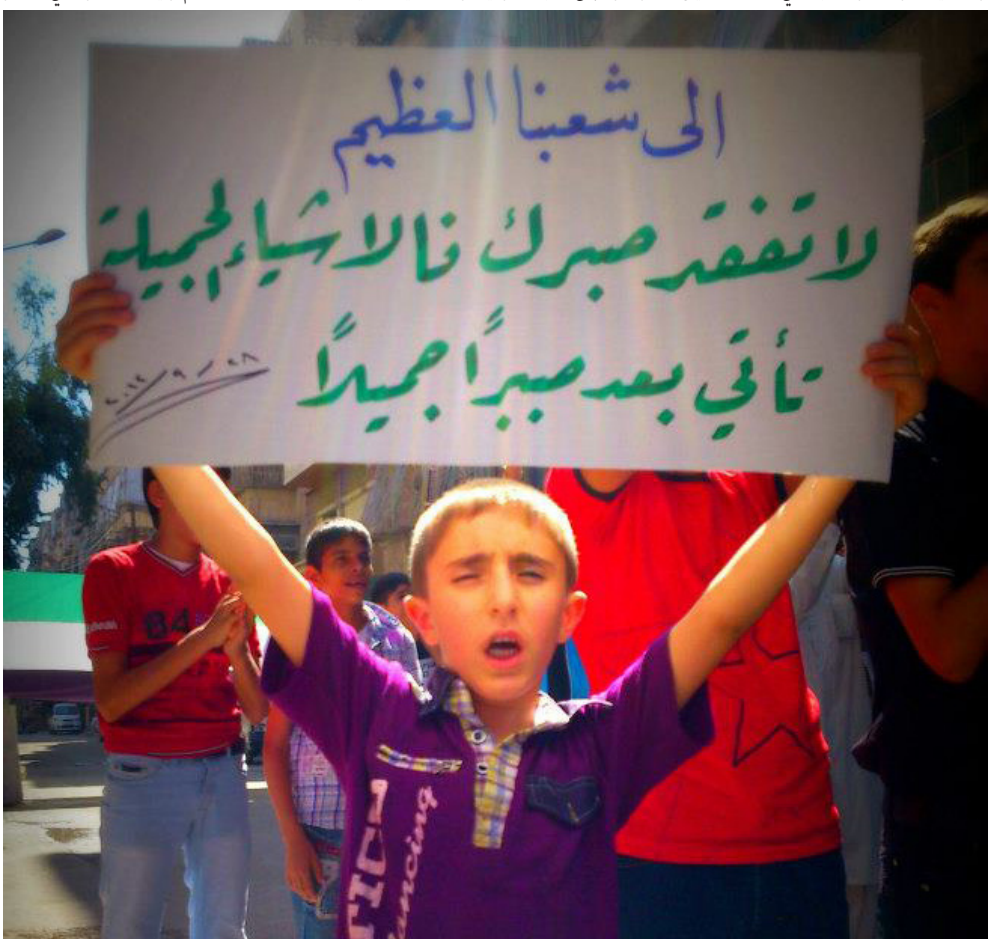

(وغيرها أيضاً) بلا هوادة، اضطر الكثير من العائلات التي تتمتع بأحوال مادية جيدة (وجيدة جداً) إلى الرحيل مع من رحلوا أيضاً. في إحدى المناطق أخبرت عن قصص متواترة عن بعض العائلات الميسورة التي لجأت من مناطق "معينة" من حلب المدينة وجربت "وضعية اللجوء" في المناطق المحررة، ولكن بمواصفات تناسب إمكانياتها ومتطلباتها. مثلاً، بعض العائلات طلبت شققاً سكنية للإيجار لها مواصفات معينة مثل الغرف المتعددة والواسعة، أو ماشابه. في إحدى الحالات حدث أن هناك عائلة كانت تبحث عن شقة فيها بلكون كبير (برندا) من أجل الاستمتاع بتدخين النرجيلة عند المساء مثلاً! "كانوا كتير شايفين حالن معانا" يخبر الشاب يحيى، لابل كان هناك شيء من الوقاحة في التعامل بحسب تعبير يحيى، فبعد أن قام أحد الشباب المتواجدين بالصدفة بالتعليق "إحنا مالنا بالشاطئ الأزرق هون" (منتجع معروف في اللاذقية)، سمع جواباً من رب الأسرة ما زال يتردد صداه في ذاكرته، مثيراً فيه "دفعة من الغضب" لم تفقد قوتها بعد كلما تذكر الحادثة: إحنا جايين بمصراتنا خيو! بعض هذه العائلات لم تطب لها السكنى في المناطق المحررة فقررت التوجه إلى المدن التركية المحاذية، حيث نزلت في فنادق وبيوت مرتفعة الإيجار، وحيث يطلب المرء ما يشاء منتظراً التلبية الفورية، دون تلكؤ ودون الاضطرار إلى سماع مالا تشتهي توقعاته! ليس هناك من شك بأن نسبة لا بأس بها من هذه العائلات لا تكن وداً كبيراً لما يعرف بـ"الجيش الحر"، حتى أن رب عائلة، لم يكن له مانع من التحدث جانبياً، حمّل "الثورة" و"الثوار" مسؤولية الحالة المزرية التي اضطرته هو وعائلته لمعايشتها في مناطق اللجوء، مسترسلاً عن "الرخاء وحسن الحال" الذي كان ينعم به، ومنهيا كلامه بعبارة "إش كان صاير علينا"!

بعض اللاجئين أبت النوائب والمصائب إلا أن تلاحقهم حيثما حلّوا. في إحدى المناطق صادفت شاباً من "اللاجئين" الفلسطينيين ينحدر من إحدى مخيمات مدينة حلب. بعد زواجه، ونزولاً عند رغبة زوجته، قرر أن يسكن في حي صلاح الدين، كي تبقى قريبة من عائلتها الميسورة نوعاً ما. وعند اشتداد المعارك في الحي اضطروا جميعهم إلى المغادرة. "كيف طلّعنا تحت القصف والله ما بعرف يا أخي"، يقول جواد، الأب لطفلين صغيرين. منذ فترة حاول جواد الرجوع لوحده إلى الحي لتفقد بيته وبيوت أقرباء الزوجة فلم يجد إلا حطاماً وركاماً. علق بعبارة موجعة "وهلق وين بدنا نروح؟ كم مرة بدنا نلجأ إحنا الفلسطينيين؟" إلا أن لعبة المصائر لم تكشر عن أنيابها بتلك الدرجة من القسوة كما حدث مع عائلتين مع أطفال فرّتا من حلب "المقصوفة" قاصدتين مدينة اعزاز وكان حظهما العاثر أن اتخذتا من المنطقة السكنية التي تم قصفها بسلاح هو الأول من نوعه (قيل أنها قنبلة فراغية). سألت أحد الشباب المرافقين عن مصيرهما وهل يمكن أن نلتقي بأحد منهم. نظر إلي بصمت ثم تلفظ بعبارة واحدة "والله انبادوا"، إذ لم يعثر لهم على أثر!

إن كانت مأساة اللاجئين داخل التراب "شبه" المحرر ما تزال حبيسة بين جدران البيوت الآوية، إلا أن لنفس المأساة على تخوم الوطن السوري أو داخل حدود الجار التركي عناوين أخرى، تستفز الرائي بظهورها المعلن والفاقع. بعد الخروج من وسط سوريا باتجاه الحدود التركية كان لزاماً علىّ التوجه من مدينة "الريحانية" صوب "غازي عنتاب" للمضي في رحلة العودة "الغير محمودة" إلى بلاد الجرمان. شاء حظي العاثر أن أستقل ميكروباص أخذ يشق الجبال والسهول الإسكندرونية " ببطء السلحفاة وعلى أنغام الأغاني التركية، أبدية النواح والندب، واقفا عند كل من يلوّح باليد للصعود. في النهاية أخذت الرحلة وقتا كنت وصلت به إلى حدود الصين: سبع ساعات بالكمال والتمام. الميزة الوحيدة في هذه الرحلة المضنية أنني وعند منطقة معينة شاهت بأم العين طوابير من البشر، تمضي على حافة الطريق الخطر مع اتجاه الطريق، بنسائها وأطفالها وكبارها. كان من الملاحظ أن عدداً كبيراً منهم يحمل أمتعة على شكل صرر كبيرة (بؤج: جمع بُغجة بالعامية)، حتى أنني رأيت أطفالاً تحمل "بؤجا" أكبر منها، كان الأطفال وخاصة الإناث منهم يبدون بحملهم كالشجيرات الصغيرة، بوجوههم المحمرّة التي لفحتها شمس "أنطاكية" اللئيمة. بعد مسير عدة كيلومترات عرفت السبب- الوجهة: مخيم للاجئين. في هذه الأيام كانت حلب تشتعل قصفاً ومعارك، بعد استراحة قصيرة عند المدخل، قيل لي بأن أغلبهم قد جاء من حلب، وأن بعضهم قد أخذ أياماً مشياً على الأقدام! لفت نظري حالة غريبة من عدم الاكتراث من قبل المسافرين معي، حاولت سؤال البعض عن رأيهم فيما يرون، بعضهم أبدى عدم اهتمامه بالموضوع بالمطلق، أما البعض الآخر فبدأ معي استجوابا بكلمات عربية ركيكة تنتهي بالـ"الكسرة متبوعة بالنون الساكنة"، لا تبدي ودا على الإطلاق!

هناك شعور عام لدى الأنطاكيين، ذوي الأغلبية "العلوية" بالامتعاض والتذمر إزاء كل ما يتصل بموضوع "الإرهابيين" المنتشرين على الحدود، كما عبر لي أحد باعة الدخان مقابل الفندق، مع الحذر من التعميم المفرط. يشعر المرء بعدم وجود حد أدنى من التعاطف مع قضية اللاجئين السوريين هناك، حتى ولو كان إنسانياً، "ريتو الله ما يردهن" قال أحد من التقيت بهم في تعليقه على خبر ورد على الشاشة التركية، كثيرة العناوين. بالإضافة إلى تعاطف "طائفي" جديد مع صاحب "القلب الطيب" بشار الأسد، لم يكن على هذه الدرجة من الوضوح قبل الثورة. يبدو أن هناك شحّاً كبيراً في المعلومات المتوافرة وفي الريبورتاجات التي تنضح بها القنوات التركية عن الوضع السوري لدى الأنطاكيين أيضاً، فضلاً عن تضامن غريب يجمع عتاة "اليساريين" و"اليمينيين القوميين" ضد كل ما تقوم به الحكومة التركية الحالية، التي لا تخفي سعيها لأسلمة ما تيسر. يترافق هذا مع وجود قدر لا بأس من الشعور العام بالإحباط نتيجة نوع من "التمييز" في الخدمات تعاني منه المناطق ذات الأغلبية العربية المتاخمة للحدود الجنوبية الغربية مع سوريا. كل هذه العوامل مجتمعة يبدو أنها دفعت بظلال من الشك لدى المواطن العادي هناك تجاه كل ما يتعلق بالثورة، مما لا يدع مجالاً إلا للترهات والأوهام والدعاية الأسدية التي يبدو أنها فعلت فعلها لدى جمهور "علوي" كبير، أعادت له الأحداث، ربما، أجزاءً مهمة من هوية مرتبكة تبحث عن مجد أو قضية في بيئة متمايزة، ولو على أنقاض أوهام لا ترتبط بالقضية من وجهة أخلاقية بالضرورة. ليلة السفر أتت أخبار مجزرة داريا الدامية، أحسست بضيق شديد وأردت أن أتنفس قليلاً من الهواء على ضفاف العاصي الأنطاكي. لمحت صاحب الفندق اللطيف والدمث، الذي دعاني إلى فنجان قهوة "عالسريع"، ثم عاجلني بالسؤال الصادم: "حبيبي، إيس بصير ب سورية (بكسر التاء المربوطة)، ليش هيك ميقتلوا العلوية يا إبني". الأخ جاءته الأنباء على الشكل التالي: مجموعة من الإرهابيين المدعومين من قطر والسعودية هاجموا "العلوية" في مدينة داريا وقاموا بمجزرة رهيبة، ولولا تدخل الجيش السوري لكان القتلى بالآلاف! لأول مرة في حياتي أشعر بوهن كبير وبشلل يجتاح أضلعي وتفكيري، تركت القهوة وذهبت من دون محاولة للإجابة وأنا أردد مقولة والدي المتوفى عند النوائب: اللهم لا أسألك رد القضاء...! في صبيحة اليوم الثاني كان في انتظاري مظاهرة تأييد تعج بصور تبعث على الضحك للأسد الابن، أزرق العينين، تبدو عليه ملامح البله، مصحوبة برسومات تعود بنا إلى القرن السادس الميلادي للإمام علي (كما قيل لي عند السؤال)، ويظهر فيها وسيما كأحد نجوم هوليود! لم يكن التصوير لواحدٍ غريب مثلي ممكنا في جو مشحون تماماً، ولكن فضولي كان محمياً من نظرات وتساؤلات محبي بشار الغاضبين: قبعة على رأسي مكتوب عليها "Germany" تحت علم ألماني واضح!

وماذا بعد:

الصورة أعلاه لا تميط اللثام عن "مسألة اللاجئين" بكامل أبعادها الإنسانية والسياسية، سواء في المناطق المحررة أم في المناطق الحدودية المتاخمة. وإنما هي محاولة لتقصي مصائر أفراد وعائلات وجماعات لم تألف هذه الأوضاع إلا في نشرات الأخبار، حيث الحدث لا يعني بشيء إلا بوصفه خبراً، تفصله مسافات واقعية و"ذهنية" عن متتبعيه. همجية نظام الأسد التي لم تعد الكلمات تسعف في وصفها خلقت أوضاعاً جديدة. لقد انقلب واقع الحال وأصبح من لم تجرؤ مخيلتهم على التفكير به لاجئين ونازحين، مكرهين على العيش في بيئات لم يألفوها ولم يتحضروا لها (من ذا الذي يتحضر ليكون لاجئاً!). لقد أضحى اللجوء بكل ما يعنيه من ألم وفاقة وعجز واقع مرّ لقطاع كبير من السوريين، في سابقة لن تمحى من الذاكرة الجمعية بسهولة. ليس من السهل على شعب تعوّد على استقبال لاجئي الجوار وغيرهم أن يجد نفسه "مطية" في لعبة القدر الساخرة تلك. كثيراً ما وجدت نفسي وأنا أودع بعض من التقيتهم أتلفظ تلقائياً بعبارة يتناقلها اللاجئون الفلسطينيون، بشيبهم وشبابهم، في مناسبات السراء والضراء عند الوداع: بـ العودة إنشاء الله!

عن موقع الجمهورية لدراسات الثورة السورية 23 / 9 / 2012

السوريون..
مرآة للكآبة.. مرآة للأمل

■ سمير سعيفان

مرآة للكآبة:

السوريون يميلون للكآبة هذه الأيام. فسعادتهم بثورتهم التي تذوقوها مع انطلاق ثورتهم التي انتظروها طويلا وسعادتهم برؤية شفق الفجر يلوح مقتربا، واستبشارهم ببزوغ نهار تعود فيه حرياتهم التي سلبت وكراماتهم التي هدرت، هذه السعادة وتلك البشرى الزاهية تبدو اليوم وقد تكللت بغلالة من الكآبة.

فرحة السوريين التي كانت تتصاعد مع تصاعد المظاهرات وامتدادها لتشمل أرجاء سورية الأربعة، هذه الفرحة النقية الصافية والاعتزاز بالنفس الذي تصاعد على مدى الشهور الأولى للثورة بدأ يحل محلها ارتباك في الرؤية وحيرة في نفوس البعض مع تعقد المسألة السورية وقدرة النظام على الصمود، رغم تآكل سيطرته تدريجيا على معظم أراضي سورية وسكانها. ثم ما لبث الإرباك في الرؤية أن تحول إلى اكتئاب مع استطالة الزمن لأكثر من عام ونصف وسقوط 30 ألف شهيد ومئات ألاف الجرحى والمشوهين والمعتقلين والفارين إلى دول الجوار وأكثر من مليوني مهجر داخلي، وهدم نحو 300 ألف مسكن حتى الآن والانتهاك والاغتصاب والابتزاز وتحول الصراع من تظاهر سلمي يواجه بقمع النظام، إلى تظاهر في أماكن شبه مغلقة محروسة بالجيش الحر، وتصاعد الصدام بين الجيش الحر والجيش النظامي مما حول صورة تلك الثورة السلمية باتجاه لم يرغب به السوريون، بل اضطر الكثيرون من المتظاهرين والعسكريين الذين انشقوا إلى حمل السلاح دفاعا عن النفس وعن بقية المتظاهرين المطالبين بحقوق الشعب في الكرامة والحرية.

رأى السوريون ثورة تونس تنتصر بسرعة ومثلها ثورة مصر. وشاهدوا المجتمع الدولي يسارع للتدخل في ليبيا، وكان السوريون واثقين بأن التدخل الدولي سيكون مماثلا، وسمعوا تصريحات نارية عربية وتركية وأوروبية وأمريكية، وعرفوا أن المجتمع الدولي يقف إلى جانب حقوقهم ضد سلطة ولى زمنها، فتشجعوا وثبتوا على تظاهرهم.

لكن شاهد السوريون العالم يتوقف عند الأقوال، فلا التدخل جاء ولا الحماية جاءت، رغم أن نظام الأسد ارتكب مجازر وقتل ودمر أكثر من القذافي بكثير. وشاهدوا ثورة تونس تختطف من أيدي شبابها ليسيطر عليها الإسلاميون الذين التحقوا بالثورة بعد أن حققت النصر، وكذلك ثورة مصر ومثلها ثورة ليبيا. كما أن حالة ليبيا لم تنتهي بعد حيث استمرت مجموعات مسلحة من ثوار الأمس تحمل السلاح وتقتتل على السلطة. وحتى الحل اليمني لم ينهي الصراع في اليمن وبقايا نظام صالح مازالت قائمة.

ربما اعتقد السوريون أن ما دفعوه بالتقسيط على مدى خمسين عاماً من تضييق ومنع وقمع واعتقال وإعدام وتصفيات ونهب على يد الأسد الأب ووريثه هو كاف، ولكنهم اكتشفوا أن ما دفعوه، رغم ضخامته، ليس كافيا وأن عليهم الدفع أكثر..

ما يبعث على الكآبة ليست فقط الخسائر التي عددناها أعلاه وليست الخسائر المنتظر تكبدها وحسب، بل أيضاً نذر الحرب الأهلية والانتقام الطائفي الذي بدأ يتجمع في النفوس ويحتقن ويزداد احتقانا مع إمعان النظام في الفتك والقتل ودفع الأمور لتأخذ منحى الحرب الطائفية المحلية ومنحى الصراع الطائفي الإقليمي. لقد نجح النظام في دفع بعض فئات الحراك للرد بشكل طائفي، أي بنفس السلاح الذي يستعمله النظام ويرون أن الانتفاضة تتخذ أكثر فأكثر طابع إسلام سياسي تبرز في مظاهر كثيرة مثل تسميات الجمع، الشعارات والكلمات والأدعية والتكبير والتسميات الإسلامية لكتائب وألوية الجيش الحر وإطالة اللحى وبعض المحاكم الشرعية التي قامت، بينما تغيب التسميات ذات الدلالات الوطنية التي انطلقت الثورة على أساسها. ثم دخول عدة آلاف من أفراد منظمات جهادية تكفيرية إلى سورية. وكل هذا يجعل الثمن باهظاً. إن عفوية الانتفاضة وتمركزها في المناطق الأكثر تقليدية بسبب قمع النظام، وغياب التنظيمات السياسية ذات البرامج والمناهج جعل رد الفعل العفوي والانفعالي يطغى في أحيان كثيرة.

ربما جاء الاكتئاب بسبب الاعتقاد والرغبة بأن النصر سهل وسريع وقريب، بينما يكتشف السوريون أن الأمر ليس كذلك، ويتبين أن لا خبرة لمعظمهم بتعقيدات الصراع السياسي ومنعرجاته. فمعظم من هم على قيد الحياة منهم لم يتمرسوا في الصراع السياسي. فقد سحب النظام الأمني السياسة من المجتمع منذ 1963 وفرض على السوريين الاستكانة وانتظار "عطاءات القائد الخالد". ثم لم تكن أكثر المخيلات تطرفاً تستطيع أن تتصور أن إجرام النظام سيصل إلى هذا الحد.

يشعر السوريون أن المجتمع الدولي يخذلهم، وبدون دور المجتمع الدولي سيكون ثمن مواجهة آلته العسكرية باهظاً. بل ويشعر السوريون على نحو ما أن قادة المجتمع العربي والدولي ورطوهم، فالتصريحات النارية في الشهور الأولى من قبل

في بلادي يولد الأمل من جديد..
سماء دمشق - صباح 28 / 9 / 2012

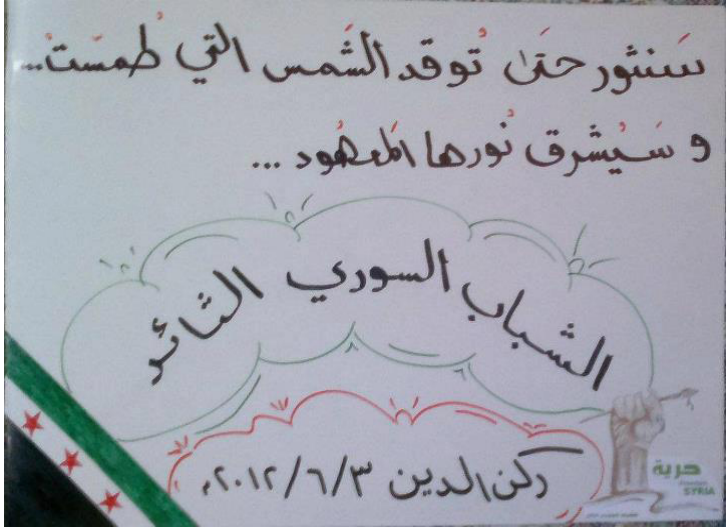

تركيا خاصة وأوروبا وأمريكا وبعض العرب شجعتهم، فخرجوا مصممين وتلقوا الرصاص بصدورهم قدر ما استطاعوا منتظرين التدخل لحمايتهم من القمع الوحشي. واعتقدوا أن التدخل، إن لم يكن هذا الشهر فسيكون في الشهر لتالي، وإن لم يكن مع وصول عدد القتلى إلى الألف فأكيد مع وصوله إلى الألفين وإن لم يكن مع استخدام البنادق سيكون مع استخدام الدبابات والطائرات الحربية.

لكن هذه هي الشهور تمر، وتمر السنة الأولى ونصف الثانية، والنظام لم يترك صنف من أصناف السلاح الفتك ولم يستخدمه، وبلغ عدد الشهداء عشرات الآلاف بدلا من الألف، والمجتمع الدولي مازال يطلق التصريحات دون فعل ذي تأثير؛ متذرعا بحجج واهية.

دعاة السلمية وعدم التدخل أيضاً مكتئبون لأنهم شاهدوا على مدى الشهور الأولى للثورة أن التظاهر السلمي أداة غير فعالة في إسقاط النظام، وأن النظام سيقتل ويقتل ولن يتوقف، وهذا يضعهم في حيرة وإرباك ويجعل حجتهم ضعيفة.

فوق هذا وذاك مازالت المعارضة السياسية مفككة لم تستطع أن تتوحد. ومازال المجلس الوطني يسيطر عليه الإخوان المسلمون، وهم جزء صغير من المعارضة، ويرفض المجلس أية جهود لتوحيد المعارضة.

يرى السوريون أن بعض السوريين مازالوا يدعمون النظام رغم كل المجازر ويرددون حججه ويقنعون بروايته، مع أن معظمهم قد عانى ويعاني كالآخرين، ولكن أرواحهم البائسة تجعلهم خائفين أو مصابين بداء التماهي مع الجلاد.

نعم إن كل هذا يجلب الكآبة، ولكن الكآبة هي جزء من صورة الصراع الذي يدخل مراحل معقدة. وقد تحرف الكآبة نظر الثوار عن الرؤية الإستراتيجية التي تتأمل ما تحقق وما بقي ينتظر التحقيق.

مرآة للأمل:

العقل هو طبيب الكآبة والثقة بالنصر دواؤه، والانخراط في العمل هو مستشفى العلاج. والكآبة داء المتفرجين أكثر منه داء المشاركين المنخرطين في العمل، وخاصة لأولئك الأبطال في الداخل حيث لا تترك لهم ظروفهم فسحة لترف الكآبة، فهم مصممون وماضون في تصميمهم ويعرفون أن طريق العودة مغلق ويركزون أبصارهم على تداعي سيطرة النظام على الأرض، فغالبية الأرض السورية وأكثر من نصف سكان سورية اليوم خرجوا من تحت سيطرة النظام، وحيث لا يوجد جندي ودبابة لا يوجد سلطة للنظام. النظام أصبح في عزلة دولية وهذه العزلة مع العقوبات الاقتصادية التي فرضت لن تزول إلا بزواله.

بحسب تقديرات العقل فإن النصر آت لا ريب فيه، فهذا عصر "الشعب يريد"، فإن نظاما تعرض لكل ما تعرض له نظام الأسد من المستحيل أن يبقى، فقد فقدَ شرعيته أمام شعبه وأمام العالم. لقد حكم التاريخ بنهاية هذا النمط من الأنظمة الوراثية الديكتاتورية. منذ اليوم الذي أطلق فيه الرصاص أهدر النظام جميع الفرص على مدى الشهور السابقة، ولا سبيل سوى المضي للأمام وقد ذهب الكثير وبقي القليل.

الإنجاز هو دواء للكآبة، فخلال عام سطر السوريون ملحمة قل نظيرها في تاريخ العالم الحديث، نعم بهذه العظمة. أن ما تحقق خلال عام كان عظيما، رغم بعض الغبار الذي يعلق به. فقد قام الشعب وامتلك إرادته. فقد بقي السوريون شهوراً يخرجون للتظاهر يتلقون الرصاص، وهم مازالوا يخرجون. بل لعل في هذا الامتداد الزمني هو ما يجعل ثورتهم ثورة حقيقية وليس انقلاباً عسكرياً كما في تونس وفي مصر، ولم يتم بمعونة عسكرية خارجية كما في ليبيا، وهذا يحدث قطيعة كاملة مع العسكر فلن يعود العسكر لحكم سوريا بعد أن حكموها على نحو مباشر أو غير مباشر منذ 1949 حتى اليوم. وتعتمد الثورة على الشعب السوري للشهر الثامن عشر، وليس على تدخل ودعم عسكري خارجي، وهذا ما يميزها، وهي في النهاية ستنتصر، وسيكون السوريون أذكى من أن ينجروا إلى خنادق طائفية يعرفون أنها تخرب بلدهم وتحقق مآرب النظام الذي يريدها خراباً بعد رحيله، وإن سعت أقلية صغيرة إليها، وقد تعاهدوا على أن الشعب السوري واحد.

حتى أولئك الرماديون أصبحت إراداتهم أكثر حرية ومطالبهم أعلى ووعيهم أعلى وأصبحوا أكثر جرأة من قبل. كما أن أولئك الذين أجبرهم رصاص النظام على الصمت فإن قلوبهم مع التغيير وهذا أضعف الإيمان.

الشعب السوري قال كلمته وأنه يريد نقل السلطة إلى يد الشعب، وقد أراد أن يتم هذا سلميا، لكن النظام سد الطريق السلمي بأسلحته، ولم يترك أمام الشعب السوري سوى الطرق الأخرى التي توصله إلى غايته، وعليه أن يستمر.

تل أبيض: المدينة المهجورة

■ ريما مروش – من تل أبيض

وسط حقول القطن هناك مدينة مهجورة. رغم انسحاب الجيش النظامي، تل الأبيض تبدو حزينة، كان عدد السكان 17000 نسمة قبل وخلال المعارك، ٪90 من الناس هربت، جزء لضيع تركيا وجزء لضيع التل. «لازم يرجعوا صار وقت الحصاد. حرام كل الموسم يروح. لازم الناس ترجع وتزرع موسم جديد، « يقول أبو يزن أحد الناشطين من سكان التل، نحيف وطويل مع عكال على رأسه.

ولكن الشوارع خالية والمحلات مسكرة. عائلة ضائعة تركب السيارة على عجل تاركة المكان مع فرش نوم ومروحة، «نحن رايحين بس على حقل القطن»، يقول الأب وكأنه لا يريد أن يعترف أنهم هاربون، «رايحين على الحقل مع فرش نوم ومروحة؟» يبتسم والكل يعرف الجواب. «العمال لازملهم مروحة بالحقل»، يقول وهو يضحك.

مؤسسات الدولة مهجورة، المحكمة، المدارس، وأيضا أبنية الأمن.

معبر تل الأبيض من الجهة التركية أيضاً مهجور: بدون جندرما، بدون جمرك. «الأتراك أخلوا المعبر نهائيا بسبب القصف العنيف للجيش النظامي، « يقول أبو عزام، قائد كتيبة الفاروق في المعبر، مع طاقية ولحية وسيجارة. كان قبل الثورة يدرس أدب عربي في جامعة حمص – سنة رابعة. «و لكن بدأ القتال من سنة ونصف، دخلت على بابا عمرو، بعد إلى القصير، الرستن، خان السبل، باب الهوى ومن ثم إلى هنا. « بعد الثورة يقول أنه يريد أن يكمل الدراسة ماجستر والدكتوراه. «معدلي كان دائما عالي، « يضيف متذكرا أيام كأنه من حياة شخص آخر.

من الجهة السورية، هناك ثوار من عدة كتائب: سيارات مع لوغو لواء التوحيد، لواء الفتح، وشباب لابسين تي شيرت «كتائب الفاروق». «وحالة ترقب دائم مع فترة استراحة للغداء: سحارة بندورة وطنجرة كبيرة مع شوربة عدس وخبز. «الخبز من تل أبيض»، يقول أبو يزن بفخر واضح: «رجعنا شغلنا الفرن!»..

في موضوع آخر يتكلم عنه أبو يزن بفخر: اليوم الخميس تم اختيار مجلس محلي، إدارة مدنية تدير أمور تل الأبيض. « أول مرة نختار مجلس محلي بدون ضغط، بدون أمن بدون أي مشاكل»، يقول رئيس المجلس المحلي، المحامي سعد فهد الشويش الذي فقد ابنه في صفوف الجيش الحر. لكن السؤال الذي يخطر في البال: أين السكان الذين من المفروض أن يدير المجلس أمرهم؟

«طبعا، موضوع رجوع الأهالي من أصعب الأمور التي نعمل عليها. حاليا نحاول تصليح شبكة الكهرباء. لكن لا يوجد استقرار بعد بسبب القصف. الوضع غير آمن بعد حاليا في فراغ أمني، سياسي واجتماعي.

هناك أيضاً الجانب الخدمي. « يقول الشويش. الهدف بالنسبة له واضح: «نسعى إلى إقامة مجتمع مدني متعدد ونبعد عن سياسة الحزب الواحد والقائد الواحد، مجتمع مدني بكل ما تعنيه الكلمة، نحكي عن المستقبل، نترك الماضي ليصبح ماضي. «

ولكن كيف تستطيع أن تبتعد عن الماضي والمدفعيات تبعد 11 كم عن المدينة والقصف عشوائي. أيضاً هناك تعزيزات لقوات الجيش. «الجيش النظامي أرسل تعزيزات. حوالي 15 دبابة و1000 مجند»، يقول أبو عزام. الجميع يفهم أهمية المكان. «محافظة غنية بثروات زراعية، سد الفرات، مطار حربي، والمعبر الحدودي. أهميته بالنسبة لنا لتشكيل منطقة عازلة بعد ما خذلنا العالم، « يضيف أيضاً أبو عزام.

المعركة للسيطرة على المعبر، دامت عدة أيام بسبب التعزيزات القوية، بعد حصار يومين تم السيطرة على المعبر. قتل 7 من الجنود وأسر 35 الذين تم إخلاء سبيلهم، يقول أبو عزام مضيفا أن المجلس العسكري: عدة كتائب حوالي10 شاركت في المعركة.

معبر تل أبيض ليس مثل معبر باب السلامة أو باب الهوى في تركيا، «بقية المعابر هناك عمق للثوار في المنطقة، عمق أكثر من 50 كم، هنا ليس هناك عمق للثوار داخل الرقة، يحاول (النظام) أن يوقف امتدادنا لكي لا يقطع الأمل من العودة إلى هنا» يقول أبو عزام، «حتى لو شهدت بعض الهدوء هذه أرض معركة ليس هناك استقرار، « يضيف.

على الطريق من أورفا إلى تل الأبيض هناك مخيم جديد للسوريين، مع لافتة: «مضافة تل الأبيض». كلمة «مضاف» المفروض تكون ايجابية رغم هيك: غصة بالقلب، المخيم كبير، يتسع لآلاف من اللاجئين السوريين الجدد.

وحدهم السوريون يقتلون مرتين

في زيارة إلى مدينة داريا بعد مرور المجزرة

■ روزا ياسين حسن

لم يكن ذلك البيت القديم المحايد يختلف كثيراً عن مجمل بيوت داريا، سوى أنه كثّف أوجاع ما مرّ على المدينة. ذواكر راحت تُسفح أمامي كما تُسفح مياه داكنة حامضة لها رائحة الموت.

في البداية مرّت الحكايات بطيئة. الشباب في الغرفة حدّثوني والخوف يلعثمهم. لكن أحدهم، وهو من شباب التنسيقية، كسر الحاجز الذي يفصله عني، وقال إن الخوف من الاعتقال ليس ما يجعلهم يخشون التكلّم فحسب، ولا الخوف من القتل كذلك، الخوف وصل إلى جثث أحبابهم، أن يأتوا وينبشوها، أن ينبشوا المقابر ويخطفوا الجثث، وهذا ما فعلوه قبلاً.

-"لم يبق إلا أن نهرب مع جثث ذوينا!!"

وضحك. كانت عيناه تنضحان بحزن مؤلم.

بعد مجزرة المعضمية، المدينة الملاصقة لداريا، بدأت مجزرة الأخيرة. حين تصطف المدن السورية واحدة تلو الأخرى بانتظار قدرها. وكانت قد قُتلت عائلة الشيخ بأكملها قريباً من مستشفى شرف، أم وأطفالها الأربعة، نزلت القذيفة على قبو بيتهم، حيث يختبؤون من القصف، وماتوا اختناقاً. كانوا أول ضحايا المجزرة الآتية.

يوم الاثنين 20 آب 2012 بدأ القصف على داريا. كانت القذائف تأتي من الدبابات المستقرة منذ أشهر على أوتوستراد درعا، ومن مقرّ سرايا (الصراع) قرب "جديدة عرطوز"، ومن جبل قاسيون ومن مطار المزة العسكري. إنه الجحيم حين يتساقط من كل اتجاه.

(أ. ص) يعرف كل القتلى، فهو الذي دفن معظمهم. يدور في سيارته الهونداي الصغيرة البيضاء في الشوارع وتحت القصف، يراوغ الشظايا والحرائق والنهايات. يلمّ الجثث المرتمية هنا وهناك، يأخذها إلى بيته يغسّلها ويكفنها.. لوجه الله. كما عبّر. يدفن الشهداء والقصف مستعر، فإكرام الميت دفنه.

- "وإن لم تتعرف على صاحب الجثة؟!".

-"يصوّرها الشباب بالموبايل.. الشباب يساعدونني. على فكرة أختي حتى لو كان القتيل عواينـي أدفنه، ما عندي مشكلة.. هوي روح كمان! ما بيجوز من الله اتركه هيك، مرمي متل الحيوانات أجلّك.. إكرام الميت دفنه، هيك لوجه رب العالمين.. الله يجزينا ويجزيك..".

والدفتر الذي يغصّ بالأسماء شاهد على ما دفنت يداه. 750 جثة دفنها (أ. ص) خلال أسبوع مرّ على داريا. بينهم 35 امرأة وحوالي 70 طفلاً. معظم العائلات المنكوبة من بيت السقا وخشينة وقفاع وغيرهم..

-"الإثم ينزل على الذين لقوا الموتى ولم يغسّلوهم ويكفّنوهم.. الإثم يقع علينا وليس على الموتى..".

أردف شاب التنسيقية رداً على حديث (أ. ص).

ولأن الموتى راحوا يُخلقون في الشوارع والأقبية والشقق والمحلات وفي كل مكان، لم يعد من متّسع لغسلهم كل على حدة. فصار الشباب يصفّون الجثث قرب بعضها البعض، ويوجّهون خرطوم الماء إليها ليغسلوها (جمعاً)، ثم يكفنوها بانتظار الدفن الجماعي أيضاً.

يوم الجمعة 24 آب كان ثمة خمس وعشرون جثة معروفة من أهل البلد سقطت جراء القصف. غسّلوها وكفّنوها، وتم ترتيبها جاهزة للدفن في أرض المقبرة. صوت القصف الذي يقترب ويشتدّ جعل الشباب يبتعدون عن الساحة المكشوفة، لتنزل القذيفة وسط الجثث المصفوفة، وتحترق بمعظمها. الكثير منها تحوّل رماداً ولم يعد بالإمكان دفنها حتى..

-"عندنا فقط الناس تستشهد الناس مرتين!!".

مازال ثمة خيط من ألم واستنكار في صوته، لم يمزّقه اعتياد التعامل مع الموت بعد. رغم أن الموت أضحى عادة هنا يتم التعامل معها ككل تفاصيل الحياة اليومية والمعتادة. ومن بين الجمل المتناثرة كان الشباب يتذكرون مجزرة هنا ومجزرة هناك.

-"عائلة شهاب.. استهدف بيتهم في القصف الجوي.. قتل منهم 11 شخص، 9 فوراً ثم اثنين ماتوا متأثرين بجراحهم..".

معظم مستشفيات المدينة استهدفت في القصف. مستشفى السلام ومستشفى الرضوان كذلك. المستشفى الميداني استهدفوه أيضاً، وهو عبارة عن غرفتين صغيرتين يحاول الشباب فيها إنقاذ ما يمكن إنقاذه. مساء الجمعة راحت دبابات النظام تقترب من المدينة وانسحب الجيش الحر، وبدأت الإعدامات الميدانية. يوم السبت كان يوم القيامة. يدخل الجيش النظامي، يمشّط المنطقة بحثاً عن السلاح. وحسبما قال شباب داريا فإن الجيش لم يقتل، كسّر البيوت وخرّبها وسرقها، ثم عمل على حماية مجموعات الأمن والشبيحة التي ارتكبت فظائع الجرائم.

-"منهم عالم غريبة.. ليسوا سوريين أبداً..".

-"عالم ما بتخاف الله.. !!".

بدا ذاك الشاب الديراني مصراً على رأيه: "هناك رجال غير سوريين شاركوا في القتل". ثم صار الناس بعد أيام يكتشفون الجثث المعدمة تدريجياً: قبو بيت السقا 72 جثة، قبل بحارة 20 جثة في قبو، في مكان آخر 13 جثة، بيت عربي فيه 6 جثث، 2 بقبو آخر وهكذا.. عشرة، خمسة، سبعين، عشرين.. وتتوالى الجثث المكتشفة. حينما هرب المسعفون بقي اثنان من الجرحى في المستشفى، واحد منهم على المنفسة ضُرب بطلقة في رأسه. والثاني ساقاه مقطوعتان قتلوه أيضاً. أخذوا معدات المستشفى كلها: أسرّة وأدوية وأدوات، واعتقلوا المسعفين الذين بقوا.

وأمام جامع "أبو سليمان" تجمّعت أكوام الجثث من الحارات.

- "معظم المجازر حصلت في الأقبية والشقق المغلقة وليس في الشوارع. ربما مخافة التصوير والأقمار الصناعية ربما..".

علّق شاب آخر.

-"في أحد الأقبية اكتشفنا 76 جثة، 22 شخص من عائلة واحدة، الجد وأولاده وأحفاده.. استشهدوا كلهم".

تذكر أحد الشباب مجزرة أخرى فجأة. ولكن رفيقه قاطعه بلهفة:

-"بقي منهم أربعة أشخاص.. بعد أن حصلت المجزرة واستيقظوا هربوا من القبو، واختبؤوا في الأعلى.. كان أمراً جيداً فقد عاد الأمن وأكمل إعاماته، فمن لم يمت تماماً أجهزوا عليه".

-"في حارة المشتل لم يبق رجل، أعدموا كلّهم من الستين وبالنازل، 63 شهيداً سقط في الحارة هذه وحدها.. كل إصاباتهم في الرأس".

-"رغم أن الناس سبق وهربت منها!!..".

يكمل الشباب نقاشهم أمامي، وإلى بيت أحد الناجين من إعدام ميداني اتجهنا. اسمه (ع. ن)، دخلت الرصاصة

من عنقه وخرجت من وجنته. ملليمترات قليلة فصلته عن الموت كأبيه وأخويه وأصدقائه وجيرانه. كان القتلى كلهم في قبو، فيه رجال ونساء وأطفال هاربين من القصف. أخرجوا الرجال وأخذوهم إلى قبو آخر. قتلوهم كلهم. لكن لم يعدموهم سوية، بل راحوا يأخذون اثنين أو ثلاثة منهم، يصفونهم على الحائط، ويرشونهم بالرصاص أمام الآخرين. ثم اثنين أو ثلاثة وهكذا.. 63 قتيلاً بينهم ناج وحيد أبقاه القدر ليكون شاهداً على ما حصل.

-"مازال الصوت في رأسي.. من شان الله، اقتلوني ودعوني ارتاح.. لا أستطيع النوم. كلما نمت أسمع صوت صراخ أبي أو حشرجات أخوي..".

كان يبدو أن المليمترات القليلة التي فصلته عن الموت تفصله اليوم عن الجنون كذلك. وكان من غير الممكن إكمال الحديث معه. كانت الفجيعة أفظع من أن يتحملها المكان.

وتذكر الشاب مجزرة أخرى، انبرى فجأة ونحن نمشي في شوارع داريا:

-"عثرنا أيضاً على عشر جثث محروقة في غرفة قرب حاجز لقوات النظام في منطقة سوق البقر، عند شركة هاواي، لم نعرف الجثث أبداً إلا عن طريق جثة رجل كان أطباء التنسيقية قد أخضعوه لعملية وضعوا له صفائح معدنية في يده، فعرفوا جثته المحروقة منها..".

-"وهل عرفوا البقية؟!".

-"عن طريقه عرفوا بعضهم.. واحد بقيت قطعة من بيجامته لم تُحرق، فعرفوه من خلالها.. وهكذا..".

وهزّ رأسه آسفاً.

حين كنا في طريقنا إلى عائلة منكوبة أخرى سبق وداهموا القبو حيث اختبأ شبابها، تحت مقام الست سكينة، وقتلوا أربعة منهم، تذكر أحد الشباب حادثة رواها لي من فوره، عن مستودع للأخشاب على تخوم داريا، أدخلوا إليه ثمانية شباب وأحرقوا المستودع فيهم. لم يُعرف عدد الذين احترقوا، فالمستودع استحال رماداً بخشبه وحديده وناسه.

-"كان من الصعب أن نعرف عدد الذين ماتوا.. لم نلفِ إلا الرماد..!!".

عدنا إلى البيت المحايد ذاته. لم يكن من جديد سوى أن ثمة رجلاً جسيماً ينتظرنا ليقول ما يريد دفعة واحدة ويغادر. كان كلامه مكثفاً لكل شيء. وجهه، عيونه الدامعة، لهفته، وفجيعته:

-"أنا شفت الموت أربع مرات. كنا نزقّ الناس الميتة، لهلق ما عرفنا مينها.. أنا وأخي وابن خالي، ندور في السيارات، ونلمّ الجثث من الشوارع والأقبية. مئات ومئات، سيارتي مثقّبة بالرصاص! شو بدي احكي لأحكي، كان في خمسة من بيت الحاوي مشوّهين، عيون خارج الرؤوس وحروق وجماجم بادية.. شو بدو يحكي الواحد؟! في حمام أحد البيوت عثرنا على سبع جثث مكوّمة فوق بعضها، قتلوهم ضرباً بمورينات الخشب! تخيّلي، بمورينات الخشب. هناك أمور لا أقدر أن أحكيها والله.. المهم اللي صار يا أختي بهالبلد ولا الخيال بيتصوّر أفظع منه، وشو ما حاولتو توثقوا وتكتبوا وتصوروا ما بتقدرو.. اللي صار أفظع.. أفظع بكتير.. والسلام عليكم..".

مـــارد التشـــويـــش

■ يوسف أبو خضور

أخيراً كافأني أحدهم..

هناك جهة ما أعترفت بفضلي وقدرتي على التشويش، والاحتفال بي.

بعد كلمات الشكر والتمجيد لي ولقائد مسيرة التشويش الكبرى وللرفاق المخلصين في تشويشهم ولا يبتغون رضا أو فضلاً من أحد، وللمحروقة قلوبهم، منحوني جائزتي وهي عبارة عن مارد أحدب وأعور يحمل فأساً، وقالوا لي سيساعدك كثيراً تستطيع وضعه على باب بيتك أو على صفحتك الشخصية.

في طريق عودتنا كان المارد يمشي أمامي ويقفز بفرح، ويتفلت من جنزيره الضخم، كان يحاول أن يشم الأزهار على الطريق، وكنت أمنعه في كل مرة، وأحثه على سحقها وسحق كل شئ في طريقه.

قلت له: لقد أخبروني أني أستطيع إنقاذ الوطن من أعداء التشويش، أخذ يردد ورائي واللعاب يسيل من فمه بكثافة: إنقاذ... إنقاذ..

قلت: اسمع، أريد أن تقطع رأس كل من يحاول إنقاذ الوطن وكل من يعتقد أن الوطن بحاجة إلى إنقاذ، ما زلت أظن أن مسيرة التشويش بخير وتتقدم بسرعة..

أيها المارد سأعلمك بعض الأسرار كي تكون مهمتك في قسم الرؤوس إلى نصفين سهلة، ستدخل معي إلى عالم الأصدقاء، وستحرسني دائماً، وتراقب ما يقولون ويكتبون، سأعلمك كيف تشم الألم في كلماتهم وفي رثائهم، عليك بقطع رأس كل من يكتب عن الشهداء بدون ألم، وخصوصاً من يكثرون الكتابة عن الشهداء، أريدك أن تدحرج الكثير من الرؤوس..

سأعلمك كيف تتلمس الحقد الناعم في الكلمات، وكيف تضرب بإصبعك على الكلمة فإذا لم تسمع لها رنيناً إقطع رأس صاحبها فوراً.

سأزودك بجهاز كشف للمعنى، ستضعه على نهاية الجملة أو الكلمة أو القصيدة، فإذا صمت الجهاز، عليك بقطع رأس كاتبها ومن حوله جميعاً، يجب أن يسبحوا بدمائهم، يجب أن ننقذ المعنى قبل كل شيء..

عندما أكون نائماً ستحرس أحلامي منهم، إياك أن يتسلل أحدهم إلى رأسي، لا تستهن بهم إنهم كثيرون ويخدعون العالم ويخدعون أنفسهم، إنهم يتآمرون علينا، نحن البسطاء الذين أنجبناهم..

و سأعلمك كيف تسمع الغرور والأنانية في الجمل، ستقيّد الكثير ممن يطربونا يومياً بأشعارهم ومقولاتهم وقرقعة عقولهم الغير متصلة بقلوبهم، ستقيّدهم بجملهم وتدحرج رؤوسهم بضربة واحدة..

ستدور حولي دائماً وتمنع عني أصحاب الرؤوس الكبيرة والفارغة، أصحاب الكلام الكثير الضحل الذي لا يفيد مسيرة التشويش وإنما يؤخرها..

كان ماردي الجميل يرغي ويزبد ويقول ويكرر: سنقضي عليهم.. سنقضي عليهم..

و عندما لا نجد من نقطع رأسه سننزل إلى جماهيرهم ونحصد قليلاً من الرؤوس...

ستحرس الألم يا صديقي وستحرس الحزن والحقد والمعنى والجمال، ستحرس إدمان الكلمة الجميل من الانقراض..!!!

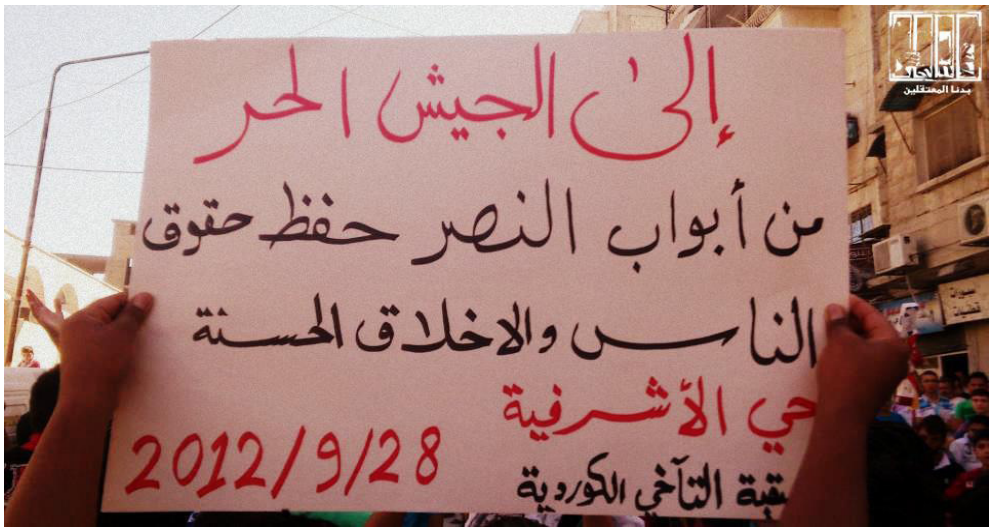

خلينا نسمي سوريا رشا!

اليوم مدري ليش اشتقت اتصل بصديق إلي انقطعنا عن بعض لأنو مؤيد، وما بعرف ليش كان عندي شعور إنو لازم اجتمع معو نحنا يلي كنا آعز أعز أصحاب. جلست أنا وباسل بالكوفي شوب الصبح بكير وتصافحنا المصافحة الخجولة، وبلشنا نحكي ونتذكر أيام السهرات والجلسات والمشاوير، على أساس محيدين الحكي بالسياسة والثورة والعنف والدم، لقينا بعضنا مو قدرانين نحكي ولا طايقين بعض!!

بيسألني باسل: إنو كيف كنا مستحملين بعض أنا وإنت بقلو كانت معنا رشا، وفجأة تذكرنا رشا سوا بيقلي باسل: شايف بسبيكم راحت رشا.. وسافرت.. وأنا بقلو بسببنا ولا بسبب الشبيحة تبعك يلي قصفوا بيتها وبلدها.

- لا تقول شبيحة!.. أنا مو من هدول وإنت بتعرف، ما هنن جماعتك المسلحين يلي فاتوا وتمركزوا شو بدك من الدولة يعني.. تسكت على مجرمين!

- جماعتي! شو قصدك جماعتي، أنا ضد كل مين حمل السلاح.. مين ما كان، إنتو جريتو العالم تتسلح

- لا السلفيين والجهاديين هننن..

على صوتنا أنا وباسل وبطلنا نحكي شوي قلّتلو باسل تجي نحكي مع رشا سكايب من موبايلي؟

- ليش موبايلك كيف عم يفتح سكايب!

- هلأ بدك تحكي مع رشا ولا نرجع نتخانق؟

- بدي احكي مع رشا..

ألو مرحبا رشا هاد أنا محمد وباسل.. مجتمعين خصوصي لنحاكيكي!!

- رشا: عن جد مجتمعين إنتو التنين سمعني صوت باسل..

وبنحكي أنا وباسل وبنتذكر قعداتنا مع رشا والمشي بالجنينة والكتب يلي مستعارينها من بعض ومو مرجعينها وأيام الشلة ورمضان.

- رشا كيفك كيف الوضع بمصر؟ بتعرفي الشام بلاكي ولا شي! نسيت مين بينا يلي سأل يمكن نحنا التنين حكيناها سوا!!!!

- ماشي حالي أنا هون رغم كل شي غريبة، وبدي ارجع، ومبسوطة إنكم ما موتوا الشلة كرمال خناقكم!

- إي ما يهمك رشا وعم نجتمع أنا وباسل كل إسبوع.. ما معقول ندفن صحبة عمرها 6 سنين (كذبنا سوا كرمال ما نزعل رشا)

- محمد، باسل.. أكيد هالكلام؟ عن جد عم تشوفوا بعض؟ عن جد لساكم رفقات؟ ما خسرتكم أنا متل ما خسرت البلد؟!

- لا ما يهمك رشا أنا ومحمد عم نشوف بعض على طول والعشرة ما بتروح مهما صار المهم إنتي تضلي رايقة لترجعلنا ونرجع سوا ونتدرب سوا.

خلصنا المكالمة أنا وباسل الدمعة عم تسبح بعيونا، واطلعنا ببعض وقلتلو باسل بنضل صحاب كرمال رشا! بيرد باسل وبيقلي إي على الأقل عنا رشا تجمعنا وعنا الذكريات يلي بينا والشغل تبعنا.

- باسل قولتلك السوريين بيجمعهن الله بنعمة متل رشا يتوحدوا حوليها!!

- ما بعرف يا محمد بس شغلة واحدة قررتها ببالي أنا ما عاد بدي زعلك كرمال رشا، خلينا نسمي سوريا رشا!

أكرك عجم.. مقهى الروح

■ خولة دنيا - عدنان أحمد
2012 / 9 / 27

خ / د

عندما كنتُ أصغر
اعتقلت عينَاي عينيك
كرغيف خبز لم ينضج
كنعاس كلماتٍ متقاطعة
تُقاطعنا شباكُ ارتحالين
واحدةٌ للسجن
واحدةٌ لدمعتين

عندما كنتُ أصغر
كنتَ أنتَ أصغر
متلوحاً بالعزلةِ تكبر
جبيناً هادئاً..
غضبُ سنينٍ لم تمر
تشابك أصابعٍ معلقةٍ
كوجع سر

عذراءُ شباكنا
تفرض الحدَّ على الأصابع
تعاندُ غوايةَ حارسِ العفافِ
فأنسى عيوني على الشباكِ
عيونكَ في عيوني
اعتقال شوارعَ دمشق
وعود مساءاتِ الهلالِ

الشباكُ لا تطير..
تُطيرُني حمامةُ ورقٍ
أنساها ذاتُ كتمانٍ
هديةٌ ثكلى في صندوق
يضيع الصندوق
تضيع عيناك
أضيع أنا
كما الفراشاتِ

وكما الصيادِ تنتظر
أطيرك كبيراً
فتطير..

ع / أ

مازلتُ صغيراً كفقاعةِ الصابونِ
أتأتأ.. " بالكاف "
وأعيدُ الكلامَ في صدري بعد الإلقاءِ
واضحةٌ طفولتي.. كارتباكاتِ أمي
مازلتُ صغيراً.. !!!!
أحيلُ نفسي كرةَ صوفٍ.. لعلي أعود جنيناً
أولدُ.. وأقطعُ الحبلَ بنفسي
أعيدُ الرضاعةَ لكن بخبرة العشيقِ
أبكي كلما غابت عن ناظري.. كذباً
فقد أصبحتُ خبيراً بتمثيل الإشتياق
أطلبُ عروسةَ الزعتر.. ثم أعود من أجل قبلة الغيابِ
أدعي الجوعَ.. لأغمس أصابعي لعباً بالصحونِ
أزيدُ شغباً من جعبة الغسيلِ
فأنا أعشقُ رائحة الصابون عند العناقِ

.

أدعي أنَ كل أفعالي اعتباطٌ باعتباطٍ
لكن من فرط شوقي لكل الأفعالِ
أمارسُ " الحقارة" ببراءة الأطفالِ
فأصرخ كلما صعدتُ " الدرج الخشبي "
سأقفز.. !!!!
فتصرخ كل ملائكة الرحمة فيها
لا..
أعيد: سأقفز.. فتبكي.. وأنا أضحك
يا " درجنا الخشبي "
يا مصعد الروح الى السطح العتيق
ألقي بلعنتكِ على كل قوانين الرياضياتِ
فما الجمع..
في حياتي سوا يومٌ يزيد على يومٍ
يا " درجنا الخشبي "
أعيدي " لأم الغريب " أشعاره
وعبثُ الأصابعِ على الأيام
واحفظي أني معنى المكان
وأني على فستان أمي كتبت أول القصيدة.
يا" درجنا الخشبي ".

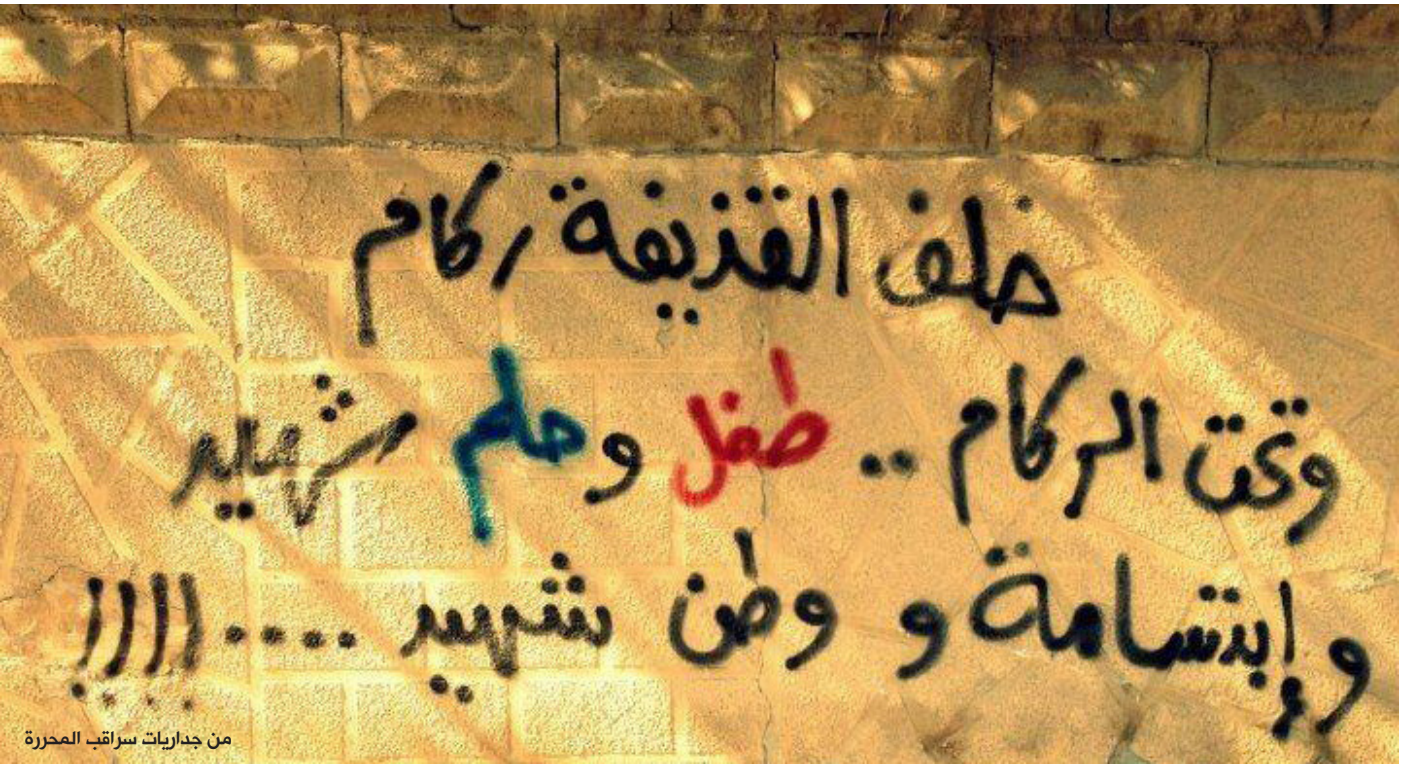

من جداريات سراقب المحررة

صـــواريـــــخ

■ جمال داود

بـدأت الحـرب الأهلية فـي منزلنا منذ بدأنـا، وكان شـجارًا عنيفـا حـول مصادر الطاقة والتلفزيون والموز واللحم والخزانة الفارغـة.. وعلـى رمـي كيـس الزبالة في الحاوية، ثم انتشـرت لتشـمل كل وسـائل الضـرب المتاحة في المـدارس وفي البيوت ذات الأسرار..

كنت أضـرب أختي وكان يضربني أبي وعنصـر المخابـرات يضرب أبـي والضابط يضـرب العنصـر والرئيـس يضـرب كل ضباطه وربما يقتلهم.. أو ينتحرهم..

بـدأت الحـرب الأهليـة باكـرًا هنـا.. عند كل شـجار على بسـطة بين الشرطي والعامـل.. بين المرتشـي وعديـم الحيلة، بين الفقير وابن المسؤول، بين الفتاة البكر المعدمة والرجل الكهل الغني الذي يشتري الجنس..

بيـن بائع اللحمـة من جهـة والجيران والـكلاب التي تنبح طول الليـل والنهار من جهـة أخـرى، بيـن الـ فور سـيزن وسـوق الأرماني.. الذي أصبح ملجأ للمشردين، بين المخابرات وشـعرائهم من جهة.. والشـاعر المشرد..

بين زجاج السيارات الفخمة.. ومشجعي نـادي الوحـدة في سـاحة العباسـيين، بين أكشاك الهاتف.. والمواطن الذي ولد ليكسر أكشـاك الهاتف ويحفر المقاعـد العمومية، بين العسـكري فـي الميكـرو.. وكل ما هو مؤنث..

بـدأت الحرب الأهلية وكانت تسـتنزف هـذه البلد سـنوات طويلة.. وتأكل خشـبها الذي يسوس..

نحن لسنا محللين سياسيين إطلاقا، لا نفهم بالسياسة ولا نحبها، لكن هم أفهمونا أن التفكيـر بالشـبع هو سياسـة، والتفكير بالحـب والاسـتقرار سياسـة، والتفكيـر بالمكيف والكهرباء والمازوت سياسـة، لماذا لم يقولوا أن مجرد التفكير هو سياسة؟

نحـن مـن كنـا نحـج اتجـاه الجنـدي المجهـول، ونجلس قربه ونؤنـس وحدته، ونهتف باسـمه، ونتذكـره بالمنيح، ونحزن عليه لعزلته الدائمة، ونروي لأولادنا قصصًا ملفقة عنه وعن بطولاته مع العدو..

قـام أخيرًا هـذا الجندي من سـباته.. قـام ليقتلنا وينتقم منا، نحن أهله وزواره.. الوحيدون!..

مـا يعزينـي في الأمـر.. أننـا أصبحنا نحـن الجندي المجهول لهـذا العصر.. وغدًا سـيبنون لنا أضرحة ويقيم البسطاء أمثالنا حفلات المشاوي بقربنا وسياريين..

لا أحـد يجيد مخاطبتنا فـي هذا البلد، ولا حتـى مـن يسـمي الجمـع الثوريـة من الخارج.. من أجلنا، كان يجب عليه أن يسمي جمعة واحدة باسمنا نحن..

يا أيهـا الذيـن تسـتحمون بالطاسـة والجرن، قوموا بثورة على أصحاب الدوش..

يا أيها الذين تملكـون قازان المازوت، قوموا بثورة على أصحاب الشوفاج..

يا أيها الذين تبتلعون صاروخ الفلافل والبيـض المسـلوق، أو البطاطـا المقليـة، قومـوا بثورة علـى من يتناولـون 3 وجبات مختلفة من الطعام يوميًا..

أم كتبت علينا الصواريخ.. وحدنا؟؟

شيلكا - مبغ - فلافل - بيض - هاون.. كلها صواريخ نأكلها وحدنا..

لا أعـرف لمـاذا أرعبهـم أن نطالـب بالحرية.. ولماذا أثرنا فضولهم واستغرابهم وأصبحنا مجالًا هامًا للدراسـة والاستجواب والتحليـل وحلقـات البحـث.. لقـد ظنونـا جثثـا ربما، جثثا ناطقـة لا يمكن أن تصحو وتصرخ مثلهم..

كان عليهـم إذن أن يرشـونا جميعًـا بالمبيدات الحشـرية أو يسـمموا لنـا الهواء الذي نتقاسمه معهم ونأخذ حصتهم فيه..

كان عليهـم أن يقولـوا لنـا أن هـذا الوطن هـو غرفة إنعـاش كبيرة لنـا.. وأن مرضنـا خطيـر ومسـتعصي، لـن ينجو إلا ببترنا عن المجتمع..

دون اللـف والـدوران واختـراع تلـك الكلمات الصعبة الحفظ: "إرهابيين سلفيين وهابيـين عراعيـر".. جميعهم فتحـوا النار علينا بمجرد أن جاء دورنا في النطق..

40 سنة نتركهم يتحدثون عنا ونصفق لهـم ولمسلسـلاتهم وأغانيهـم الوطنيـة وخطاباتهـم غيـر المفهومـة، وعندما جاء دورنا لنتكلم، ضربونا بالنار.. والصواريخ.. أم كتبت علينا الصواريخ وحدنا.. كما كتبت على الذين من قبلنا؟

لـم يكن فـي منزلنـا خصوصية، كان حلمـي أن تغلـق أمـي الباب وهـي خارجة، كان حلمي أن تضيء شاشـة الكمبيوتر في العتم فـأرى عالمي الآخر بوضـوح.. العالم الافتراضي الذي أشـعر فيـه بكامل هيبتي ووجـودي.. كان حلمـي أن ألعـب بشـارع لا تدعسـنا فيه السـيارات وتدهـس كراتنا.. كان حلمـي المكيـف.. كـم أهـوى الأماكن المكيفة، أمضي سـاعات في مول مبرد كي أبرد مجانًا.. كان حلمي أن أكون أنا الضيف، فيشـعل لي أهلـي المكيـف ويطبخون لي اللحـم والكنافـة.. لا لذاك الموظـف الكبير الذي يزورنا..

"كان حلمي أن آكل الوجبات السـريعة والشاورما "سندويشتين أو ثلاث أو صاروخ، "فـي الحقيقة هـذا الصـاروخ الوحيد الذي يعجبنـي فـي العالـم.. وأريـده كل يـوم.. صاروخ شاورما"..

كان حلمـي الفروج والـدفء كما يجب وأن أبرد كما أريد وأسـتحم سـاعة ما أشـاء وأشـتري كومبيوتر لي وحدي لا تشـاركني فيه كل الإخوة والأخـوات الذين في العالم، ويكـون معي أجرة سـاعة بليـاردو أو فيلم سـينما كل أسبوع، وبلاي ستيشن.. والكثير مـن الأصدقـاء وحبيبـة تحبنـي وتتفهـم وضعي وعقدي..

كانـت هـذه أكبـر أحلامـي.. وكل أمنياتي..

إلـى أن جـاء ذاك الغريـب ومـر مـن حينـا وأخبرني أن تلك ليسـت أحلام.. هذه ضروريـات الحيـاة.. فـي العصـر الحالـي.. الأحلام هي أكبر من ذلك بكثير..

عن أي حياة تتحدثون؟

حياتكم؟

حقيقـة لا يدركها إلا جيـل الثمانينات والسبعينات..

كنـا فـي دمشـق، وكانت سندويشـة الشـاورما وجبة قيمـة مقارنـة بالفلافل.. وكان الشـاب يثيـر إعجـاب الفتـاة: بعلبـة الكولا!!..

يقولـون أن الـذي كنـا نعيـش فيـه أمانـا.. لقد فصلوا الفقـراء عن الأغنياء في أحيائهم، ورموا لنا فضلات الموائد وشـكلوا حواجـز عالية بيننـا وبينهم ليشـعروا هم بالأمان..

أرهقونـا فـي السـعي وراء الخبـز والطواف حول أعضائنا الجنسية التي ترغب بالزواج.. من أين لنا بالمهر؟ أو حق التلبيسة؟ أو ثمن 10 وجبات عشاء متتالية؟ أو وجبتين لحم غنم في الأسـبوع أو في الشـهر حتى، أو بنطـال جديد من "ماجيلا" كل موسـمين للتنزيلات.. نحن من نخاف أن ننظر لواجهة محل لحمة أو سوبرماركت ضخمة في مول كفرسوسـة البعيد عنا بضعـة أمتار فقط، نريد أن نشـعر بأننا بأمان أمام احتياجاتكم الضخمـة، أمـام طمعكم وجشـعكم وعدم اكتراثكم بنا..

عن أي أمان تتحدثون؟؟ أمانكم؟..

وفـوق الخزانـة وفـي السـرير وعلى السـقيفة، كنا نخبـئ الصيفي أو الشـتوي وحرامات المؤسسـة العسـكرية وكلاسيننا الطويلة مع النفتلين.. وعاداتنا تلك وخيبتنا الطويلـة وخوفنا، كنا نخبئهـم في ذاكرتنا مـع النفتليـن أيضا، خوفا مـن اقتراب العث والعفن.

افتتحـوا ذلـك المطعم الضخـم الذي يفتح سـقفه بـــ "الريمـود كونتـرول" في حارتنـا التي كانـت تدلف فقرًا وتهميشًـا، أصبح لنا قيمة، والأغنياء أصبحوا يمرون من هنا، وأطفالهم يستاءلون كلما شاهدونا من الزجاج المفيم: هل وصلنا لمدينة الألعاب؟

أصبحـت جـل مشـاكلهم "صفـة للسـيارة"، لمـاذا لا يوجـد صفـات في تلك الحارة الشعبية الضيقة؟

يسـألوننا: لمـاذا لا تغـادرون بيوتكم المزدحمة دون جدوى من أجل أن نجد صفة لـــ الرنج روفر، صحيح هـل تعرفون الرنج والهمر وسـيارات الدفع الرباعي التي تزينها صور الأسياد؟

أيهـا الرعاع ومن أين لكـم بالمعرفة؟ وأنتـم تجهلـون معنـى الحريـة؟ كانـوا يخاطبوننـا من وراء تلـك الحواجز المعتمة التي تحجب قلوبهم عنا، ولأننا أناس طيبون ومسالمون.. كنا نقرأ وجوههم ونبتسم..

الحقيقـة.. أحسـننا بالغبطـة.. لقـد أصبح حينا مشهورًا على الأقل، على الأقل تمـر فتاة مموضـة "صاروخ" علـى رصيفنا المكبـوت كل خمـس دقائـق.. علـى الأقل نسـمع صوتهـا ولو توبيخـا وصراخـا لأحد الشـباب الملطشـين.. علـى الأقـل.. هـذه النوعية من الصواريخ محببة في حينا..

لماذا قمنا بالثورة؟

ظننـا أن الثورة هي ما ينقصنا لنصبح بنـي آدميـن، ربمـا لـم نـدرك أننـا عندما نستعجل موتنا: تكون هذه الثورة، كنا نموت على أي حال.. لكننا ثرنا لنعلم ما هي الثورة ومـا هي الحريـة التـي تنقصنـا، الصراحة لـم نكـن نعلـم شـيء.. لقـد أخفـوا علينا كل الحقائـق وفبركـوا مناهجنـا وبرامجنـا التلفزيونية كما يريدون، حتى أنهم قالوا لنا أن ما حصل في عام 1970 حركة تصحيحية وما قمنا نحن به إرهاب وعنف..

فمن يشـرح لنا لماذا قاموا هم بثورة؟ ولمـاذا يطلقون هم الأسـماء على ثورتهم ونحن لا ثورة لنا ولا أسماء؟

كنـا نموت.. ببـطء.. وبسـرعة النملة وعلى طريقة النملة..

الآن تقتلنا الصواريخ..

هذه ثورتنا..

عقوبة الإعدام في التشريع السوري

■ ياسر مرزوق

تعريف: الإعدام هو إزهاق روح المحكوم عليه، وهو من حيث خصائصه عقوبة جنائية فحسب، وهو من حيث دوره في السياسة الجنائية عقوبة استئصال إذ يؤدي إلى استبعاد من ينفذ فيه من عداد أفراد المجتمع وذلك على نحو نهائي لا رجعة فيه.

وعقوبة الإعدام من أقدم العقوبات في تاريخ المجتمعات البشرية، وعرفت هذه العقوبة لدى كافة الشرائع القديمة كما في قانون حمورابي وفي مصر الفرعونية ولدى اليونان والرومان وفي أوربا القديمة وكانت أغلب الشرائع تطبقها وبأساليب قاسية ووحشية مصحوبة بصور بشعة من وسائل التعذيب يقشعر منها البدن كالإعدام حرقاً التي استخدمها الرومان ضد من اتهموهم بالكفر والخيانة والسحر، وكالإعدام سحقاً وكانت هذه الوسيلة تطبق في جنوب آسيا قبل 4000 عام وكانت تتم عن طريق سحق جسد الضحية إما عن طريق وضع الصخور عليه أو بالاستعانة بالفيل حيث يصعد على رأس المحكوم عليه بالإعدام، وكالإعدام بواسطة المتفجرات حيث يتم وضع قنابل على جسد الضحية ويتم تفجيرها بالتحكم عن بعد، وتحت تأثير وضغط فلسفة القرن الثامن عشر والتي أعلنت ثورتها على العقوبات المتوحشة واللاإنسانية بدأ الاتجاه نحو التقليل من عدد الجرائم التي يعاقب عليها بالإعدام وأيضا تنفيذها بأساليب معتدلة.

تختلف عقوبة الإعدام في الشريعة الإسلامية اختلافاً جوهرياً في منطلقها وفلسفتها عن أسس تنفيذ عقوبة الإعدام في التشريعات والقوانين الوضعية في العالم، فالقوانين الوضعية تجعل عقوبة الإعدام دائما للدولة أما الشريعة الإسلامية فإنها تجعل حق المطالبة بالعقوبة لورثة القتيل فإذا تنازل الورثة عن حقهم مقابل "الدية" وهي بمثابة تعويض عن قتيلهم الذي قد يكون هو مصدر رزقهم الوحيد فلا يجوز للدولة أن تنفذ عقوبة الإعدام عليه وان أمكنها أن تخضعه لعقوبة السجن إذا وجدت مصلحة في ذلك "عقوبة تعزيرية".

وقد ظهرت الموجة التشريعية لإلغاء عقوبة الإعدام منذ بداية هذا القرن يشوبها نوع من التردد؛ ففي إيطاليا ألغيت هذه العقوبة في عام 1899م ثم أعيدت في عام 1930، ثم ألغيت مرة أخرى 1974، وفي نيوزيلندا ألغيت هذه العقوبة سنة 1911 ثم أعيدت سنة 1950 ثم ألغيت مرة أخرى 1961، وفي إسبانيا ألغيت هذه العقوبة سنة 1932 ثم أعيدت سنة 1934 ثم ألغيت مرة أخرى بتعديل دستوري سنة 1978م في غير حالات الجرائم العسكرية في زمن الحرب.

وفي بعض الدول ظهر اتجاه نحو الحد من عقوبة الإعدام مثل روسيا السوفيتية؛ فقد ألغت عقوبة الإعدام سنة 1947 ثم أعادتها في بعض الجرائم مثل الجاسوسية والرشوة والقتل المشدد والاغتصاب. وفي بعض الدول الأخرى ظهر بادئ الأمر الاتجاه نحو الحد من عقوبة الإعدام عن طريق إلغائها في عدد كبير من الجرائم؛ ثم ساد الاتجاه نحو إلغائها كلية؛ مثال المملكة المتحدة ففي عام 1957 ظهر قانون القتل مبقياً على عقوبة الإعدام إذا اقترن القتل بأحد ثلاثة ظروف، ثم صدر قانون 1964 يلغي هذه العقوبة في تلك الظروف مع جواز توقيعها إذا كان القتل مع سبق الإصرار، وفي سنة 1964 صدر قانون قرر إلغاء عقوبة الإعدام كلية ونص على وجوب صدور قانون جديد بعد خمس سنوات ينظم هذا الموضوع، وفي سنة 1970 صدر قانون يؤكد إلغاء عقوبة الإعدام، وفي السويد ألغيت عقوبة الإعدام سنة 1921 عدا بعض الحالات الاستثنائية، ثم صدر قانون سنة 1972 بإلغاء هذه العقوبة كلية. وقد اتجهت بعض الدول إلى إلغاء عقوبة الإعدام كلية دون عودة كما في سويسرا سنة 1937، وفي ألمانيا الاتحادية سنة 1949.

الاتفاقات الدولية حول عقوبة الإعدام:

في 1948/12/10 أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي نصت مادته الثالثة على المبدأ القائل بحق كل إنسان بالحياة والحرية والأمن لشخصه. ونصت المادة 5 على تحريم خضوع الإنسان للتعذيب أو العقوبات الأليمة أو أي نوع من المعاملات غير الإنسانية أو المهينة. ولم تلغ عقوبة الإعدام كعقوبة وإنما بعض طرق تنفيذها.

الاتفاقيات الأوروبية لحقوق الإنسان الموقعة في 1950/11/4 اعترفت للدولة باستعمال عقوبة الإعدام: "حق كل شخص بالحياة يكفله القانون. لا يجوز إنزال الموت بأحد إلا في حالة تنفيذ حكم بالإعدام صادر عن محكمة".

وقد جاء البرتوكول السادس لهذه الاتفاقية عام 1983 ليعلن "عقوبة الإعدام ملغاة. لا احد يعاقب بهذه العقوبة ولا بتنفيذها". وأصبحت أوروبا بعده "باستثناء صربيا والبوسنة" القارة الوحيدة التي لا وجود فيها لعقوبة الإعدام، ويوجد اليوم 109 دول أعضاء في الأمم المتحدة أعلنت إلغاء عقوبة الإعدام في تشريعاتها الداخلية. و68 دولة أبقتها في تشريعاتها، مع تطبيق ضيق لها.

وتسعى لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة للدعوة الدائمة للدول التي لم تلغ هذه العقوبة إلى وقف تنفيذ عمليات الإعدام. كما تقوم بحملة لوقف إعدام الأطفال.

ومن أكثر الدول تطبيقاً لعقوبة الإعدام الصين، ففي عام 1999 نفذت 1263 حكماً.. وفي عام 2000 نفذت الولايات المتحدة الأمريكية 85 حكماً بالإعدام. وبين شهر كانون ثاني وحزيران 2001 نفذت 34 حكما.

أما المشرع السوري فقد أخذ بعقوبة الإعدام، ونص عليها جزاءً للكثير من الجرائم نذكر منها "جرائم الخيانة، جرائم التجسس لصالح العدو، بعض جرائم الفتنة، القتل إذا وقع عمداً أو تمهيداً لجناية أو تسهيلاً لها أو تنفيذاً لها، أو تسهيلاً لفرار المحرضين على تلك الجناية، أو إذا وقع القتل على أحد أصول المجرم أو فروعه، وبعض جرائم الحريق إذا نجم عنها وفاة إنسان، والاتجار بالمخدرات، إضافة لحالات كثيرة من الإعدامات السياسية لعل أشهرها القانون 49 سيء السمعة، وقانون مكافحة الإرهاب الجديد".

وتنص المادة "43" من قانون العقوبات على أنه:

1 ـ لا ينفذ حكم بالإعدام إلا بعد استطلاع رأي لجنة العفو وموافقة رئيس الدولة.

2 ـ يشنق المحكوم عليه بالإعدام في داخل بناية السجن أو في محل آخر يعينه المرسوم القاضي بتنفيذ العقوبة.

3 ـ يحظر تنفيذ الإعدام أيام الجمع والآحاد والأعياد الوطنية أو الدينية.

4 ـ يؤجل تنفيذ الإعدام بالحامل إلى أن تضع حملها.

ويتم الإعدام شنقاً إذا كان المحكوم عليه مدنياً وقد أوجبت المادة 455 من قانون أصول المحاكمات الجزائية حضور عدد من الأشخاص لعملية التنفيذ وهم:

أ- رئيس الهيئة التي أصدرت الحكم وفي حال تعذر حضوره قاض يختاره الرئيس الأول.

ب- النائب العام أو أحد معاونيه.

ج- رئيس المحكمة البدائية التابع لها مكان التنفيذ.

د- كاتب المحكمة التي أصدرت الحكم.

ن- محامي المحكوم عليه.

و- أحد رجال الدين من الطائفة التي ينتمي إليها المحكوم عليه.

ز- مدير السجن.

ح- ضابط الشرطة أو قائد الدرك التابع له مكان التنفيذ.

ط- طبيب السجن أو الطبيب الشرعي في المنطقة.

أما إذا كان المحكوم من العسكريين فيتم الإعدام رمياً بالرصاص وهي خاصة بالمحكوم عليهم من العسكريين "المادة 92من قانون العقوبات العسكري" حيث يؤتى بالمحكوم عليه بالإعدام بحراسة مفرزة إلى ساحة التنفيذ بعد تجريده من جميع الشارات العسكرية ويقرأ عليه الحكم بصوت جهوري ثم تعصب عيناه ويربط إلى عمود ويقوم برمي المحكوم عليه اثنا عشر جندياً بقيادة وكيل أو وكيل أول "علماً أن الاثني عشر جندياً الذين يقومون بتنفيذ حكم الإعدام بحق العسكري، ولا توجد في بنادقهم جميعاً ذخيرة حية ولا يعلم أي منهم إذا كانت ذخيرته حية أو غير حية ويحضر التنفيذ أحد أعضاء المحكمة التي أصدرت الحكم والنائب العام وأحد الأطباء الرسميين وكاتب المحكمة.

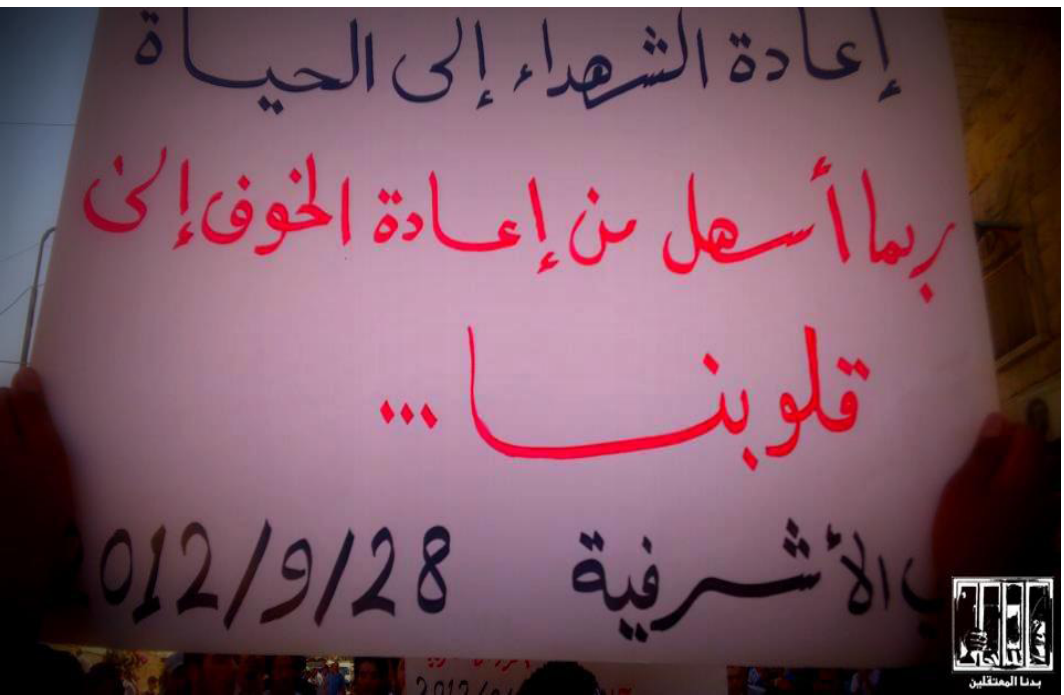

د. جلال أمين: ماذا حدث للثورة المصرية

■ ياسر مرزوق

بعد أقل من شهر من قيامها، أطاحت ثورة 25 يناير 2011 بعهد من أسوأ ما مرّ على مصر من عهود، وهو عهد حسني مبارك الذي حكم مصر ما يقرب من ثلاثين عامًا، تدهور فيها الاقتصاد المصري، وأحوال المجتمع، ومركز مصر العربي والدولي. أشاعت الثورة فرحًا شديدًا في نفوس المصريين، بنجاحها في التخلص من رأس النظام والقضاء على فكرة توريث الحكم لابنه، وبزغت آمال قوية في أن يعقب هذا السقوط استئصال النظام من جذوره، ودخول مصر عهدًا جديدًا من النهضة والتقدم. ولكن سرعان ما تكاثرت العثرات في طريق الثورة، فبدأ القلق يتسرب إلى النفوس، والخوف من ألا تتحقق تلك الآمال العظيمة التي بعثتها الثورة.

"هل أنت متزوج؟ نعم ولي طفلان.. نعيش في شقة بالإيجار.. وما قيمة الإيجار؟ أربعمائة وخمسون جنيهاً.. لا تغضب مني إذا سألتك عن مرتبك.. مائتا جنيه"، تلك كانت إجابة عامل بدار سينما زارها المفكر الكبير جلال أمين، ولاحظ أن العامل، الذي يحمل شهادة في الحاسب الآلي، وزميله خريج "تجارة إنجليزي" يتلهفان على البقشيش، بطريقة أزعجته، ثم أثارت تساؤلاته كاقتصادي مخضرم عن السياسات التي أفرزت هذه الحالات الاجتماعية البائسة.

تلك الحالة الاجتماعية التي قادت فيما بعد إلى ثورة 25 يناير، وبينما يعيش المجتمع المصري اليوم جدلاً واسعاً حول السياسات الاقتصادية الجديدة، يطرح أمين في أحدث كتبه سؤالاً كبيراً عن "ماذا حدث للثورة المصرية"، والنموذج الاقتصادي - الاجتماعي الجديد الذي يحقق آمالها.

يضم الكتاب فصولاً تتناول كثيرًا من مظاهر الفساد والتدهور التي أدت إلى قيام ثورة 25 يناير، ثم يبين أسباب التفاؤل الشديد بمستقبل باهر، الذي أشاعته الثورة، ثم دواعي القلق الذي أثاره ما تلبدت به السماء من غيوم. ويشمل الكتاب أيضًا فصولاً عما يمكن أن يكوّن عناصر نهضة جديدة في مصر، في مجالات الديمقراطية السياسية، والاقتصاد، والعدالة الاجتماعية، والتخلص من التبعية، إذا نجحنا في تبديد هذه الغيوم.

يتصدى أمين بشجاعة لإشكاليات بناء دولة عصرية مدنية حديثة تقوم العلاقة بين أطرافها الداخلية على أساس المواطنة وانتفاء صور التمييز كافة، وبناء مجتمع ينهض على تعدد المرجعيات والرؤى؛ وبذلك لا يمكن أن تكون دولة طائفة أو عشيرة أو عائلة بعينها. بل دولة سيادة القانون التي تحكمها المؤسسات، وترسخ فيها الحريات الفردية والجماعية. ويرتقي فيها الفكر، بعد أن لعبت الأنظمة السياسية التي نشأت إثر الاستقلال دورا في التدهور المعرفي والفلسفي؛ فلم تشجع الفكر النقدي العقلاني، وراحت تشجع الفكر الإيديولوجي والأصولي المحافظ؛ بحجة الدفاع عن التراث أو استرجاع الهوية..

على الصعيد الاقتصادي فعلى الرغم من بؤس المشهد بعد كل التخريب الذي عاناه الاقتصاد على مدار السنوات السابقة، يجد أمين بارقة أمل منتظرة على يد من سماهم بالجيل الثاني من الانفتاحيين، فثورة يناير كشفت برأيه عن جيل جديد من الطبقة المتوسطة "أفادوا من الانفتاح على العالم ولكنهم أكثر ثقة بأنفسهم من الجيل السابق وأكثر تمسكاً بتراثهم والنساء من بينهم أكثر تحرراً عقلياً ونفسياً، وأكثر ثقة بالنفس دون التنكر لتقاليد أمتهم".

وفى هذا السياق يرى أمين أن طفرات النمو في الناتج الإجمالي أو في توظيف العمالة التي حققها الاقتصاد المصري في بعض الفترات، من هزيمة 1967 إلى ثورة يناير، كانت طفرات طارئة ترتبط في كثير من الأحوال بظروف طارئة «خذ على سبيل المثال ما حدث لمعدل نمو الناتج القومي. لقد تدهور بشدة في السنوات الثماني التالية لهزيمة 1967، ولكنه تحسّن بشدة في السنوات العشرة التالية من 1975 إلى 1985 ثم تدهور معدل النمو بعد ذلك وظل منخفضاً لعشرين عاماً 1985 ـ 2005، ثم تحسّن مرة أخرى في السنوات الثلاث من 2005 إلى 2008، ثم انخفض مرة أخرى ولا يزال منخفضاً، لقد كان التحسن دائما لأسباب عارضة وغير مضمونة الاستمرار". ويفسر أمين تحسن النمو الاقتصادي في الفترة من 1975 ـ 1985 بارتفاع أسعار البترول وإعادة فتح قناة السويس وتدفق تحويلات العاملين بالخارج، "وكلها نتيجة ظروف خارجية غير عادية وواهية الصلة بمدى قوة أو ضعف بنيان الاقتصاد المصري"، كما يوجه طفرة النمو الاقتصادي في ثلاث سنوات من حكومة أحمد نظيف «لأسباب تعود إلى ظروف خارجية لا يطمئن إلى استمرارها وقد انخفضت هذه الاستثمارات الأجنبية بشدة بمجرد حدوث الأزمة المالية العالمية في 2008". لذا لا بد من دولة بعيدة عن الفساد وعن التحكم بالاقتصاد لصالح الفئة الحاكمة، دولة لكل المصريين..

دعوة أمين لعودة الدولة القوية لا تعنى عودة الدولة البوليسية، هكذا يؤكد في كتابه، ولا تعنى استنساخ الدولة الناصرية. "فالعالم تغير تغيراً شديداً"، وربما من أبرز الفروق التي تظهر في تحليل أمين بين عصر الثورة الناصرية، وزمن ثورة يناير، أن النظام الناصري "كان ينتسب لعصر لعبت فيه المعونات الأجنبية دوراً كبيراً"، بينما نعيش حالياً في زمن سيادة الشركات الدولية العملاقة وحلول الدور الاقتصادي للاستثمارات الأجنبية الخاصة محل الدور البارز للمعونات الرسمية في حقبة الخمسينيات والستينيات، لذا يقدم أمين النموذجين الاقتصاديين لماليزيا وتركيا، كمثلين بارزين على نجاح الدولة القوية في زمن العولمة.

تطلع "د. جلال أمين" عبر صفحات كتابه "ماذا حدث للثورة المصرية ؟" إلى أن تعيد ثورة 25 يناير الشعبية إلى المجتمع المصري إنسانيته المهدورة على يد قوى الثورة المضادة، وكرامته الوطنية، لتعاد كتابة التاريخ من جديد، قائلا لشباب الثورة:

"إن التاريخ المصري لم ينته في 5 يونيو 1967، كما أنه لا يمكن أن ينتهي في نوفمبر 2011، ليس هذا فحسب، بل إن كل ما ارتكب من أخطاء وأعمال شريرة لا يمكن أن يمحو الحقيقة الآتية وهي: أن الجيل الجديد الذي حظيت به مصر الآن، ولم يكن موجودًا ولا مؤثراً في 1967، يحمل إمكانات جبارة للنهوض والمحاولة من جديد".

وبذلك يسهم كتاب "ماذا حدث للثورة المصرية؟" في الإجابة عن تحديات الثورة المصرية ومعضلاتها، ومدى قدرتها على قيادة التغيير الديمقراطي المنشود.. وهل بمقدور قوى الثورة إذا ما تسلمت السلطة السياسية خلق نوع من التنمية الوطنية الشعبية المتمحورة حول الذات، والمتحررة من إرث التبعية لأمريكا وإسرائيل؟ أو بتعبير د. جلال أمين نفسه: "ما فائدة ثورة يناير إذا لم تمكنّا من التخلص من التبعية ؟".

جلال أمين، كاتب وناقد ومفكر مصري من مواليد 1935. تخرج من كلية الحقوق جامعة القاهرة عام 1955. حصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة لندن. شغل منصب أستاذ الاقتصاد بكلية الحقوق بجامعة عين شمس 1965 - 1974، ومنصب أستاذ الاقتصاد بالجامعة الأمريكية بالقاهرة من 1979 وحتى 2011. فاز بجائزة سلطان العويس في مجال الدراسات الإنسانية والمستقبلية عام 2009. من مؤلفاته: «ماذا حدث للمصريين؟»، «عصر الجماهير الغفيرة»، "عصر التشهير بالعرب والمسلمين"، "خرافة التقدم والتأخر"، "مصر والمصريون في عهد مبارك"، "ماذا علمتني الحياة"، و"رحيق العمر". "الدولة الرخوة في مصر" و"وصف مصر في نهاية القرن العشرين"، "عصر الجماهير الغفيرة".

عدسة سام؛ اللغة في عدسة

■ حوار: شام داود

التصوير الفوتوغرافي منذ البداية كان أداة أساسية في رصد ما يحصل في سوريا ابتداء من درعا وامتدادا إلى المدن الأخرى. بدأ بعدسات الموبايل البسيطة من أناس وجدت أن دورها يقتضي أن توثق ما يحصل في ظل التعتيم والتشويش الإعلامي والتضييق على العمل الصحافي الاحترافي الممارس من قبل قوت النظام السوري

بعد عام ونصف على ثورة الحرية تطورت اليوم أساليب عمل النشطاء وعبر الشبكة من النشطاء ليصبح التصوير أيضا إعلاما احترافيا هادفا يرمي أيضا إلى إرسال رسائل مختلفة بحسب توجه كل مجموعة وكل مبادرة.

نجد منها التوثيقي والفني والوثائقي وكذلك الثقافي.

"العالم يحوي الآن صورا أكثر من الطوب وما يجعل الأمر مدهشا إنها جميعها مختلفة، هذه رؤيتنا، إضافتنا، هذه عدسة سام"

سام جدنا الأول، ابن نوح وأب دمسق..

ولأن السين الآرامية تلفظ شين بالعربي، أمست هذه بلاد شام ابن نوح وأب دمشق.. هذه عدسة سام جدنا الأول.

هكذا يقدم القائمون على صفحة الفيسبوك المسماة بـ"عدسة سام" أنفسهم.

صفحة الفيسبوك هذه الغنية بالصور الفوتوغرافية التي تروي حكاية عشق لسوريا الأولى وارتباطها الوثيق بثورة الحرية هي واحدة من عدة صفحات كثرة نشأت ومبادرات لتوثيق ما يحصل في سوريا منذ انطلاقة الثورة في آذار 2011 وحتى يومنا هذا.

| هل يمكن لنا أن نتحدث عن تاريخ العدسة وأسباب بدء المشروع وهل يشمل مشروعكم مناطق معينة أم يغطي سوريا بأكملها؟

| | عدسة سام هي بالأصل نتاج وخلاصة اعمل شباب وفنانين ومواطنين صحفيين بعضهم خرج من رحم هذه الثورة والبعض الآخر كان بالأساس محسوباً على الفن وأهله والصحافة بتشعباتها، فكانت عدسة سام هي الجامع لكل هؤلاء باختلاف توجهاتهم وخلفياتهم وحتى أهدافهم.. نحن مشروع جامع لكل ما هو جميل وأصيل، أما عن المناطق التي تغطيها عدسة سام فهي مفتوحة ليس فقط على مناطق محددة أو على امتداد الوطن بل إلى ما بعد حدوده، وذلك يعتمد على المناطق التي يتواجد فيها فريق عدسة سام والمناطق التي يزورونها ويرتحلون إليها، إن في المحافظات السورية، أو خارج حدود الوطن، فأينما كنا إن في الداخل وإن في الخارج.

وعملنا لا يقتصر على التصوير الفوتوغرافي بل يمتد لإنتاج التقارير وفن والأفلام القصيرة. ونحن نعمل في هذه الأثناء على فيلم قصير جديد تحت عنوان " الأقليات " سيصدر قريبا.

| اغلب المبادرات الفنية المصورة تتوجه إلى الناس داخل سوريا وأيضا إلى الإعلام الغربي والعربي لمحاولة تصوير الواقع وعكس ما يحصل في الشارع السوري اليوم.. ما الرسالة التي تريدون إيصالها إلى السوريين اليوم وكيف تساهم العدسة في إغناء الإعلام المصور على هذا الصعيد؟

نحن نحاول رصد ما حولنا من تفاصيل صغيرة بعيننا وعين من حولنا لإيصال رؤيتنا الخاصة.. وكما هو مذكور على رأس الصفحة "

| | الرسالة التي نحاول إيصالها للجميع بدون استثناء هي رسالة إنسانية صرفة بالدرجة الأولى، تختزن في مضامينها كل ما فيه حق وخير وجمال، فالواقع مهما بدا لنا قبيحا يمكن لنا أن نغير وجهة نظرنا إليه إن تمعنا في التفصيلات الصغيرة، أن تفهم كل شيء أي أن تسامح تماما.

وإن الثورة السورية فيها من الغنى أنا مع كل الموجود ما تزال هنالك العديد من الجوانب التي لا يلقى الضوء عليها.

«البطولة طريقة موت لا طريقة حياة.» غابرييل لاوب
المكان : دوما . الزمان : 29\3\2012

| التصوير الاحترافي الفوتوغرافي يتطلب جهدا خاصا وكاميرات متطورة ليس من السهل إخفائها كيف تعملون في ظل التضييق الأمني المتزايد من قبل قوات الأمن؟

| | إن عدسة سام ولدت في 13\7\2012. أي بعد سنة وأربعة أشهر منذ ولادة الثورة، اكتسبنا خلالها الخبرة اللازمة والشجاعة الضرورية، للعمل في أشد الظروف قسوة وبكاميرات محترفة، مبتكرين أساليبنا الخاصة للتحايل على الظروف والالتفاف عليها ولا تنسى أن الانترنت أيضا في معظم البلد لا يعمل جيدا لكنا لتجاوز كل هذه المصاعب نذكر ما قدمنا لأجل ذلك من الدماء والأصحاب والأقارب ومن الماديات المعبئة بالذكريات، نحيلها وقودا للعمل ومضادات لليأس الذي يداهمنا بين الحين للأخر واضعين نصب أعيننا

الهدف الاسمي لبلد حر مستقل تسود فيه التعددية الفكرية، الحلم بان ننتج بلدا مواكبا لركب الحضارة بلد يستحقه أبنائنا.

| تعلمون جيدا أن الإعلام هو عدو النظام الأول منذ باكورة الثورة السورية في آذار 2011 واليوم وبعد مقتل العديد من الإعلاميين والمواطنين بجرم حمل كاميرا أو حتى كاميرا جهاز موبايل.. هل برأيكم أصبح التصوير بالموبايل في الثورة السورية بمثابة حمل السلاح؟.

| | لا لم يصبح كحمل السلاح.. بل هو منذ بداية الثورة منذ اليوم الأول أخطر من ذلك بكثير والإعلامي مستهدف

أكثر من المسلح لأنه يحمل بالإضافة لذلك رؤية وهو بقي لفترات طويلة من عمر الثورة ومازال الطريقة الوحيدة لإيصال صوت الناس، ولولا هذا العامل لقمعت واندثرت الثورة كما حدث مثلا في القامشلي في 2004

و لذلك نحن نقدر الأمانة التي نحملها ونحاول أن نكون على قدر المسؤولية التي اخترنا طوعا حملها. أملا بان نوصل صوت أهلنا ومجتمعنا بمقدار ما من الشفافية والحياد وبقدر ما لأننا نحن من أهل الحدث ولابد أن يؤثر علينا ويؤثر بقدر ما على شفافيتنا

| يوجد اليوم الكثير الكثير من الصفحات التي تعتمد على التصوير الضوئي لنشر ما يحصل في سوريا أين ترون أنفسكم بين المبادرات العديدة وكيف تتصورون مشروع العدسة مستقبلا؟

| | لإضافة للتصوير الفوتوغرافي نقوم بتصوير بعض الأفلام القصيرة وتقارير صحفية أما عن المستقبل فخطتنا متابعة نقل الواقع وتأسيس شركة لإنتاج الأفلام وفق رؤيتنا وعدستنا ونبدل العدسات لنرى بجميع العيون ونفكر بجميع العقول فتكون صورنا لجميع القلوب.

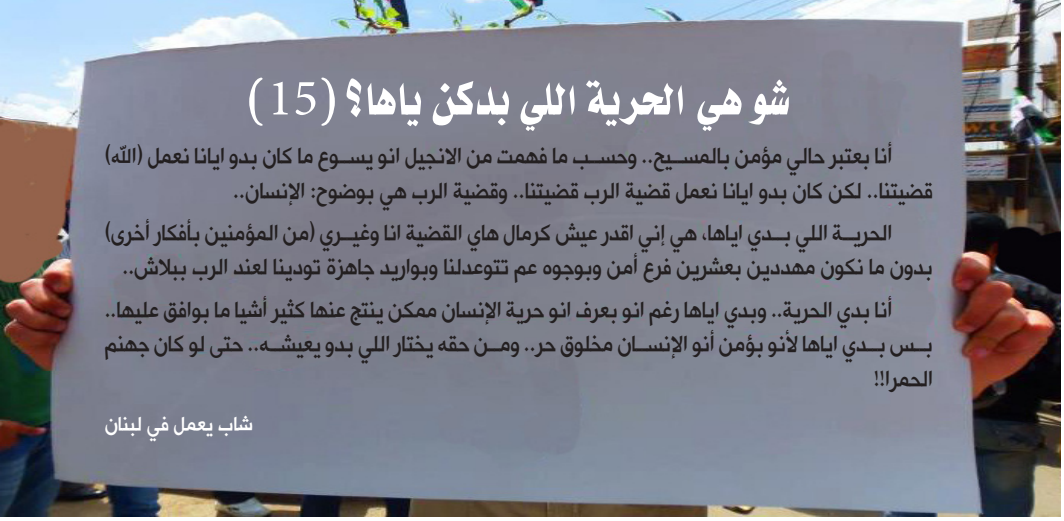

محمود ديب

والله لولا خوفي على دماء الشعب السوري لتمنيت أن تستمر الثورة للأبد، ليستمر سقوط الأقنعة وتعرية الأصنام التي قدسناها.. صمت دهرا يا زياد رحبانى ونطقتَ كفرا..

فادي عزام

لا يمكن التغيير والبقاء بنفس اللغة.. لا يمكن أن تحب بنفس مفردات الحب السابق، لا يمكن أن تثور بلغة ثورة ليست ثورتك. إذا كنت تقوم بذلك.. ستستيقظ ذات يوم لتجد نفسك في حالة "انمساخ" أو سيصدر الأب عليك الحكم القطعي بالغرق أو ستتعرض لمحاكمة دون أن تكون قد اقترفت ذنباً الأدهى.. أن تجد نفسك في آلة مستعمرة العقوبات.. حيث تأكل جلدك تلك الآلة الرهيبة الانتقامية الرهيبة التي صنعتها أنت. بقي الوقاد: يعني أن تتابع رمي الفحم في الحجرة الاحتراق حتى تصل السفينة أو تغرق

ميليا عيدموني

مؤكد:محطات الأف إم السورية عندها انفصام شخصية، الصبح أغاني وطنية، وبتحس حالك ع الجبهة وع شوي صرت مو بالجولان لا بنص القدس. وبعد منتصف الليل أغاني عاطفية جامحة، ولا كأنك بألف ليلة وليلة!.

حسام عيتاني

كثر يقولون لنا لا تتدخلوا في الشأن السوري. اهتموا بمشكلات بلدكم. أنتم لا تفهمون حقيقة ما يجري.. أيها السادة عندما يقتل 307 أشخاص في يوم واحد في مكان لا يبعد سوى ساعة بالسيارة عن مدرسة ولدي، فهذا ليس شأني وحسب، هذه مسألة شخصية وعائلية بالنسبة لي..

غسان إبراهيم

أيتها الأزمنة المحتشدة بدهشة العسكر من الجمال، متى ترحلين وهم معك..

مرام المصري

لن أصبح طائفية ولو ذبحت.. متى سيعلم العالم كله أنها ثورة ضد الظلم وليس ضد طائفة..

ندى صبح

صوبوا نحوي خناجركم.. قطّعوا بنصالها دمي.. فأردوني ملاكا!.. اعترافات طفل سوري عند باب الله..

مصطفى الجرف

أخاف أننا سنموت على كل الأحوال.. أخاف بعد كل هذا العذاب أن قلوبنا المتعبة لن تتحمل فرحتها.. برحيلك!

ريم حجا

الثورة ليست بخير!! لأنها خلفت جنرالات حربٍ بيننا يرون بأنفسهم بديلا يفرضه سلاحهم ويغيب أفكار ووجود الآخرين وبسباطة يجروننا معهم لحيث كنا قبل ألف عام.

يامن حسين

مباشر: أنا وأمي نشرب المتة تحت أعين القناص وضوء ليزر قناصته.. يحتفل بالرصاص ندخل قليلاً.. يهدأ نعود لنطل من الجبل إلى بردى..هنا دمشق

غسان عبود

أمام تفجر الدم وصيحات الأسى لم تعد للسياسة والكياسة معنى ولم يعد للحوار معنى ولم تعد للكتابة معنى لم يعد للرسم للكاريكاتير للمسرح معنى لم يعد للكلمة والرمز ولنتاج الإنسانية أي معنى! هل فعلا سقط كل شيء في الواقع أم فقط في ذهني؟! لن تعود كل المعاني إلا إذا عادت.. سوريا حرة..

مريم نجمة

فالتسقط الطائفية التي خلقها وعاشها ودعّمها ومارسها النظام الأسدي الساقط على شعبنا السوري 42 عاما، الذي لا يعرفها في تاريخه، تبا للطائفية، تبا للسموم الذي غرزها في مجتمعنا، إلى التنظيف أيها الإخوة والأبناء والثوار والأحرار الشرفاء.

ليلى العودات

يبدو أن حافظ الأسد كان يهذي بالثورة كل يوم، يبدو أن أصوات الناس ووجوههم حاضرة أحلامه وأن الجموع التي تهتف "سورية بدها حرية" أرّقته كل ليلة. كل هذا التحضير لم يأتي من العدم.. هو تحضير الخائف المتيقن.

علي سفر

دمشق الملونة، ليست تلك البيوت التي لونوها في نهاية الجادات في المهاجرين، بل ألوان الدخان التي نشاهدها في كل الاتجاهات..! وحده قلبي ينفجر فتخرج منه أدخنة زرقاء بلون السماء فلا يراها أحد..

راشد عيسى

من المرات القليلة التي يشعر فيها السوريون بأحوال الطقس في مختلف مدن العالم بمثل هذه الحدة، مطر في باريس، غبار وصقيع في الزعتري، جحيم في القاهرة، خذلان في معسكرات برلين.. ورعب في بيروت. حقا سوريا في قلب العالم.

زهير سالم

أرجو أن نكون قادرين على تحديد موقفنا من المجرم بحسب جريمته ليس بحسب هويته. القرآن يدين مسلما أخطأ وينتصر ليهودي بريء. ولا تكن للخائنين خصيما..

طالب ك إبراهيم

في مطعم شامي للفول والمسبحة وللحمص الناعم، صحن جديد يقدمه صاحب المطعم للزبائن. لقد أسمى صاحب المطعم كل صحن بـ "حرية" وعندما يطلب زبون صحن مسبحة، ينادي صاحب المطعم: واحد مسبحة وحرية لهون..

كوليت بهنا

من زمان كنا ننطرو ويفرفك قلبنا فرفكة ليجي البوسطجي حامل لنا رسالة من اللي بنحبن أو من رفقاتنا.. وتخبي هالرسائل تحت الأرض.. ونطالعن ونشمهم من وقت للتاني.. ووقت نتخانق مع اللي بنحبهم نهددهم برسائلهم وهنن يهددونا برسائلنا كوثائق دامغة وإدانات للحب... شو قاسية هالأيام اللي عم يضطر الواحد يمحي كل الرسائل مع رفقاتو عالفيسبوك أو الإيميل.. وين بدنا نخبيهم؟ ع فلاشة مثلا؟ ولا تحت الأرض؟؟.. حتى تحت الأرض بيقدروا ينكشوها ويطالعوهم كوثيقة إدانة لبوحنا وأحلامنا وأسرارنا المقهورة..

سهى رحال

سلطة ما كسر بخاطرنا ورجع كسمو ليأكد انو.. بكرا أحلى..

محمد زرزور

إلى جميع الصبايا يلي برات البلد.. رجعوا الوضع تمام وروّاق وأمان.. وبالنسبة للشباب خليكون برا كتير في اعتقالات وحواجز ومشاكل.. والله..

إياد عماشة

شهر مر على المذبحة التي اقترفتها ميشلين عازر وتلفزيون الإجرام بحق مجموعة من الأبرياء، ما زالت صورة الطفل النازف تشهد بكامل ألوانها..

هالة محمد

تعوا نتحدّى النظام ونحبّ بعضنا..

خلود زغير

كانت ولازالت الطائفية السلاح الأقوى والأشمل لمقاومة الثورات الإجتماعية والسياسية، فهي تتصدى للتيارات اليسارية عبر وضعها بموقع الإلحاد والمروق عن العقائد السماوية والأخلاق والتقاليد، وتتصدى للتيارات اليمينية عبر سجنها بهالة من التنزيه لدرجة التحريم حتى من النقد أو تقييم مفاهيمها الإنسانية ومواقفها الطبقية. الطائفية كانت دائما الدرع الحامي للاستعمار وللأنظمة الديكتاتورية في الحفاظ على السلطة والحكم.

علي قطيفان

المواقف محكومة بالزمن.. فموقف اليوم قد لا يكون ملائماً بالأمس، والعكس صحيح.. نبقى في مصاف الأغبياء وقابلين للاستغلال، بقدر إغفالنا لذلك..

هالة العبد الله

أيها الخريف أرجوك لا تقسى على أطفال بلادي لا سقف لديهم ولا حذاء.. أفرش أوراقك الصفراء والبنية حاجزا جويا بينهم وبين السماء التي تملأها نيران حقدهم وطائرات لؤمهم وقنابل جنونهم.. أجعل من رياحك وأمطارك مطبات تخدع اتجاه الموت وتضلله، فلا يهبط على صدور أطفال بلادي.. أرجوك أيها الخريف خذ يتامى بلادي بحنانك..

علي سراج

في بداية الانتفاضة - الثورة.. كان هنالك أمل ما في تسوية سياسية من أي نوع كانت.. اليوم.. وبعد كل هذه الأنهار من الدماء الطاهرة.. وكل هذا التدمير الأحمق.. للأخضر واليابس.. بعد كل هذه الاغتصابات للحرائر.. بعد سرقة بيوت الناس وسرقة أرزاقهم وسرقة أعمارهم وأولادهم وأحبتهم.. على ماذا نتحاور.. وعلى ماذا نتفاوض..؟؟.. حل واحد لا غير.. خود رجالك وارحل عنا..

الوطن ليس فندقاً فعلاً..

اعتبر بعض الموالين، خاصة من الفنانين، أنهم ألفوا أجمل قصيدة حين قالوا: «الوطن ليس فندقا نغادره إذا ساءت الخدمة». وهم يقصدون سوء الإدارة فقط على ما يبدو. وهو على كل اعتراف بالحاجة إلى التغيير، أي إلى إسقاط النظام والإتيان بنظام لا سوء فيه على الأقل. نسي هؤلاء أن الوطن ليس فندقا فعلا، فهو امتداد لتاريخ وجغرافيا، وهو بشر وشجر وحجر. وحين يتم قتل البشر وينكل بهم اعتقالا وتعذيبا وقصفا لأنهم يرفضون الاستبداد ويبحثون عن الحرية في نظام العدل والمساواة. حين يمنعون من الهواء والتنفس، لرفضهم أن يحرق الشجر ويدمر الحجر أيضا، فندقا كان، مخزنا أو سكنا. يخرج الناس إلى حرية التعبير عن رفضهم الظلم، لكي لا يلحقوا بالثلاثين ألف شهيد أو بمائتي ألف معتقل. وألا يكونوا بين عشرات آلاف الجرحى والمفقودين، خاصة حين يطال القصف المجنون الجميع: البشر والشجر والحجر. يخرج الناس من تحت ردم الدمار، ليعودوا إلى سوريا حرة، سورية دولة مدنية ديمقراطية تعددية بتداول للسلطة وبمواطنة متساوية أمام قانون يعدل ليصبح عادلا وبفصل بين السلطات واستقلال للقضاء.

نعم أيها السادة الوطن ليس فندقاً، إنه ساحل وجبل، صحراء وبساتين، مدن وقرى، وقبل هذا وبعده بشر سوريون، شعب انحنى العالم أمام عظمة تضحياته وروعة ثورته. أنتم تتوهمون أنكم تستطيعون أن تقنعوا أحدا بأن الحق على الهارب من القتل والتنكيل لا على السجان والقاتل والمنكل. لقد مكث شعبنا أربعون عاما ويزيد صابرا على الفساد وسوء الإدارة أو «الخدمة» إذا شئتم. وحين قال كفى، عتبتم عليه لأنه لم يحسب العواقب بأن النظام سيقتل ولن يرحم.

أكثر ما يغيظني الموالي الذي يقول: تعرفون وحشية هذا النظام الأمني وأنه سيقتل وينكل ويعتقل فلم ثرتم ضده؟ اسكتوا كما سكتم أربعون عاما. يا للعجب! موالاة تصف من تواليه بأنه قاتل لا يراعي حرمة ولا يردعه خُلق أو قانون!!..

بئس فندقكم الذي تطلون منه على الوطن الرحب ولا ترون من يريد تحويله إلى ركام. بئس منطقكم وتلطيكم وراء الكلام الفضفاض لكي لا تقفوا إلى جانب طلاب الحرية. والناس يهتفون رغم القصف والدمار: «سوريا بدها.. حرية». سوريا «بدها» أن لا تسجنوا أبناءها في فندق، مهما عظم حجمه. فندق أو سجن تغلق أبوابه عليهم ويمنعون من العيش كما يستحقون كشعب من أعرق وأنبل شعوب الخليقة.

هيثم حقي

قلعـــة حلـــب

■ بلال سلامة

تعـد قلعـة حلب مـن كبرى قـلاع العالم وأقدمها، وتقع وسـط المدينة القديمة، وعلى هضبـة يصـل ارتفاعها إلى 40 متـراً، وتتميز بشـكل إهليلجـي، يحيـط بهـا خنـدق كانـوا يملؤونـه بالماء في حالة الحـروب والحصارات ويتم الدخول إليها عن طريق مدخل أمامي ذي برج بشرفات دفاعية، وكان هناك في السابق، قبل عهـد الظاهر غازي، درج خشـبي متحرك يربـط بيـن المدخـل الأمامي والخنـدق، وهو قابـل للرفع في حـالات الحرب، ثـم تحول إلى درج حجري ثابت.

من المؤكد أن مكان قلعة حلب الأساسي هـو مرتفـع طبيعـي أضيـف إليـه ارتفـاع اصطناعـي، بحيـث أخـذ شـكل التـل العالـي المرتفـع فـي وسـط المدينـة (المركـز)، وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن وجود البقايا التي تعـود إلـى العصر الحثي من خـلال معبد الإلهة تيشوب، ومن ثم معبـد الإله حَـدَد الأرامي، وغيـره مـن المعابـد التـي بنيـت فـي عهود لاحقـة، كلها تؤكـد وجـود القلعة منـذ الألف الثاني قبل الميلاد، أو على الأقل وجود المركز "الأكروبول"، ولكن أقدم المنشـآت الباقية إلى الآن تعود إلى العصريـن الأيوبي والمملوكي، وذلـك من خـلال الأبراج والأبواب التي شـيدت في العصـر الأيوبي والتي تمـت فيما بعد في العصر المملوكي.

يعـود تاريـخ تشـييد قلعة حلـب إلى عهد أحـد قـواد الإسـكندر المكدونـي إذ اختـار ذلك التل الشـامخ ليكون معسكراً لجنوده، ولما احتل الرومان هذه البلاد أضافوا إلى القلعة منشـآت لا تزال آثارها بادية للعيان، وترك البيزنطيون من بعدهم بصماتهـم فيها، في حيـن كان الفرس يعملـون فيها الخـراب والدمار حيـن عصفت بها جيوشـهم متغلبة على الجيـوش البيزنطية، ثم عاد البيزنطيون إليهـا ليرمموا ما هدمه الفرس ويضيفوا إليهـا تحصينات وتعزيزات أخرى، وفي عـام 636م حاصرتهـا الجيـوش العربيـة، وأخذ الحصـار يطـول، وصمـدت بفضـل تحصيناتها وعتادها الغزيـر ومؤونتها الوافـرة، حتى تمكن الفاتحون من الاسـتيلاء عليها عن طريق الحيلة والدهاء، وذلك باسـتيلائهم على أحد أبوابها في بـادئ الأمـر. وقد وقـع قائدها البيزنطي أسـيراً بيـد الفاتحين. وكان أول من اهتـم بالقلعة في العصر الإسـلامي الأمير سيف الدولة الحمداني، الذي أمر بعمارتها وتحصينها، وبنى سوراً لمدينة حلـب، لأنه كان في صراع عنيف مع البيزنطيين، فأصبحـت القلعـة مقـراً لإقامته وصـارت مقراً دائمـاً للحكام فـي المدينة من بعده، واسـتمرت العنايـة بالقلعة فـي العهود اللاحقـة، فقد بنى نـور الدين الزنكي (وهو ينتمـي أصلاً إلى العهد السـلجوقي) أبنيـة كثيـرة فيها وذكر سـوفاجيه تفصيـلات الأعمـال التـي نفـذت في عهـد نور الدين، إذ رمم كامل القلعة، وأعاد بناء سـورها، وبنى فيها مسـجداً، ولكن الإزدهـار الكبير الذي شـهدته القلعة كان في عصـر الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي الذي ترك لنا آثاراً عسكرية معماريـة مهمـة، ويقـول سـوفاجيه: إن القلعة بشـكلها الحالـي ترجع إلـى عهد الملـك غازي، أي إلـى ما بعد سـنة 605هـ/1209م. وقد أشـاد المؤرخون بأعمال الظاهر غازي في القلعة، ورأوا أن المجموعة المعمارية والتحصينات التي أقامها تشـكل إعجازاً في التحصين في نسـق العمارة العسـكرية فـي القـرون الوسـطى، فقـد جدد حصونها، وبنى منحدراتها التي تبدأ من السـور وتنتهي في قعـر الخندق، بناءً متقنـاً كالجدران لكي يتعذر التسلق عليها، وفي العهد المملوكي، جدد عمارتها الأشرف خليل بن قلاوون، ثم جدد بعض أجزائها السـلطان الملـك الناصر برقوق. وكانت آخـر الترميمات قد حدثت أيام السـلطان قانصـوه الغـوري آخـر السـلاطين المماليـك، والجدير بالذكـر أن الترميمـات المملوكية أبقت على شيء من مظاهر القلعة الجميلة.

وصف القلعة

تقـع قلعـة حلـب فـي وسـط المدينـة القديمـة فـوق تل على شـكل جـذع مخروط قاعدتـه السـفلية أبعادهـا (550م×350م) وقاعدته العلوية التـي تقبع عليها القلعة تبلغ (375م×273م) ترتفـع القلعة حوالي 50 متراً عـن مسـتوى المدينة وهـي محصنة بسـور دائري، وتحوي سـتة أبراج تشرف على منحدر وعر بني فيه برجان يتصلان بالقلعة بواسطة السراديب وفي أسـفله خندق يحيط بالتل من كل الجهـات يبلـغ عرضه حوالـي 30م وعمقه حوالي 22م وكان سفح التل فيما مضى مكسواً ومرصوفـاً بالحجـارة الضخمة، لكـن لم يبقَ منه سوى القسـم الملاصق للبوابة الرئيسية. يميز القلعة مدخلها الرئيسـي وهو عبارة عن جسـر عريض مائل ذو درجات يتخطى الخندق ومحمول على سلسـة مـن القناطـر الحجرية عددها ثمانية، في طرفه الخارجي برج صغير أمـا فـي الطرف الآخـر من الجسـر والملاصق للقلعة فيوجـد برج كبير هو عبارة عن البوابة الرئيسية والتي تؤدي إلى داخل القلعة. للقلعة سـبعة أبواب مصفحـة ومغطـاة بالحديد كي تقاوم نيران وضربات المهاجمين.

وداخـل القلعة يوجـد جامعـان أقدمهما هـو جامـع إبراهيم الخليـل والذي شـيده نور الدين زنكي عام 1162م فوق خرائب كنيسـة بيزنطيـة أما الجامـع الكبير فقد بنـاه الظاهر غازي بن صـلاح الدين الأيوبي عـام 1210م، ويحـوي مئذنـة مربعـة ارتفاعهـا 20م، فـي القسـم الشـمالي من القلعة وإلى الشرق من المسـجد الكبير تقع تكنة إبراهيم باشـا التي شيدت من الحجارة المنتزعة من سفح التل.

في وسـط القلعة يقـع القصـر الملكي الذي يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثالث عشـر الميـلادي بالإضافـة إلـى حمـام كبيـر مؤلف من عشـر غرف تمر فيها أنابيـب المياه الحارة والبـاردة وهـي مصنوعة من الفخـار، ويوجد أيضاً صهاريج لحفظ الماء وعدة آبار يبلغ عمق بعضهـا 60 متـراً وقد اسـتخدمت هـذه الآبار كسـراديب خفيـة. كما ويوجـد داخـل القلعة مجموعة من القاعات ذات اسـتخدامات متعددة بعضهـا ذو طبيعـة دفاعية كالتـي تطل على المدخل الرئيسي وقاعة للعرش تعود إلى عهد المماليـك (القرنّان الخامس عشـر والسـادس عشـر) والقاعة الكبرى الموجودة تحت مستوى القلعـة يتم الوصـول إليها بواسـطة درج وقد سـميت (حبس الـدم)، كما يوجـد قاعات أخرى كانت تستخدم كمستودعات.

مظهر العمارة العسكرية في القلعة

إن عمـارة القلعـة تعكس التطـور الذي وصلت إليه فنون العمارة العسـكرية من خلال طريقـة عمارتها، وبأشـكال أبراجهـا المربعة والمسـتطيلة والسداسية، وبالمدخل المتعرج، والأعمـدة العريضـة في السـور الـذي يجعل الجـدار متماسـكاً بالإضافـة إلـى المسـامير الحجرية في السور الضخم، والكوات المتعددة لرشق السـهام، والأبواب الحديدية المصفحة، والمعترضـات الهندسـية، التي تؤلـف عنصراً زخرفيـاً ذا طابع جمالي في المنشـآت المدنية كالقصـر الملكـي، وقاعـة العـرش، وأعالـي الأبـواب، إضافة إلى اسـتخدام الممر الخارجي المكشـوف، بحيـث يسـمح للمدافعيـن ضرب المهاجمين الذين يتمكنون من كسر خط الدفاع الأول. ولا يؤدي الجسـر مباشـرة إلـى المدخل الرئيـس، وإنما ينحـرف بزاوية قائمـة ليؤدي إلى المدخل. وضلعا الزاوية عبارة عن جدارين مجهزين بالسـقاطات، ومرامي السـهام، التي تسـمح بالقضاء علـى العدو المهاجـم بأعداد صغيـرة بسـبب ضيق المسـاحة التـي تتقدم المدخـل، كمـا تمنعهـم مـن اسـتخدام الأداة القديمـة في تحطيم الأبـواب "الكبش"، وهذا النوع من المداخل يسـمى المداخل المنكسرة "الباشـورة"، وهي المداخل التـي يرجع فضل تصميمها إلى المعماريين العرب.

ومـن العناصر الدفاعيـة للقلعة الخندق الـذي يحيط بها من جميع الجهات، ويبلغ عمقه أحياناً نحو /22/ م، وعرضه نحو /30/ م، وكان يمـلأ بالماء وقـت الحصار مكونـاً بذلك حاجزاً مائيا بيـن المدافعين والمهاجميـن، كما يوجد تحصينـات مائلة فـي الخندق للمشـاركة في وظيفـة عرقلة تقـدم المهاجميـن صعوداً في حال تمكنهم من اجتياز الخندق، وجرى تسفيح سـطح التل الذي تقـوم عليه القلعـة بحجارة ملسـاء يصعب تسلقها، وخاصة في حال وجود الماء في الخندق، وتسـاعد هـذه الإعاقة التي تقـوم بهـا التحصينـات المائلـة علـى إعطاء الفرصة للمدافعين لاقتناص الأعداء وردّهم، ولا تـزال بقايا تلك التحصينـات ماثلة للعيان، وبعضها يغطيه التراب، وذكر أن سبب تخريبها هو اسـتعمال حجارتها لبناء المشـفى الوطني فـي حلـب قديمـا، أي المشـفى الواقـع أمـام القلعة وبناء أبنية أخرى، وذلك قبل الاستقلال الوطني، مثل البناء المعروف بـ "رباط إبراهيم باشا"، وبناء المشفى العسـكري، وبناء الثكنة العسكرية بقلعة حلب في عهد "إبراهيم باشا". وقـد قامت المديريـة العامة للآثـار والمتاحف بترميم بعض الأجزاء الظاهرة من التحصينات المائلة وتدعيمها خوفاً من الانزلاق.

خاتمة

تعرضت قلعة حلب لغـزو المغول بقيادة هولاكـو سـنة 1260م وهَـدَم كثيـراً مـن معالمهـا. تحـررت القلعـة بعد انتصـار العرب علـى المغـول في موقعـة عين جالـوت، وقام الملك الأشـرف قلاوون بترميم ما تهدم منها. ثم جاء تيمورلنك الأعرج سـنة 1400م وهدم المدينـة والقلعة. ثم قـام المماليك بتحريرها وترميمها.

وقعـت بعد ذلـك تحت حكـم العثمانيين سـنة 1516 وجاء إبراهيم باشا بن محمد علي باشـا من مصـر في عـام 1831م واسـتمرت خاضعة له حتى عام 1840م وأنشأ فيها ثكنة، وجعل القلعة مقراً لجنوده.

في عام2012 قصفها بشار الأسد وهدم بابها وجـزءاً من درجها وكل يختار مكانه من التاريخ.

اليوم تتعرض قلعة حلـب كما كل أجزاء سـوريا إلى تدمير عنيف لم يسـبق إليه أعتى الغـزاة، وقـد قـام العديـد مـن المقاتلين من طرفـي النـزاع بالتحصـن بهـا ممـا أدى إلـى تعرضها لقصف شـديد أدى إلـى تخريب أجزاء كبيرة منها. ويبدو أن القلعة كغيرها من معالم سـوريا ستشـهد على فترة مظلمـة أخرى في تاريخها الطويل ولكنها سـتبقى شامخة تهزم الطغـاة كما هزمتهم من قبـل. وكلنا ثقة بأن هذه القلعة العظيمة ستكون شاهدة على عهد جديد من الحرية والرخاء في سوريا القادمة.

عن السوريين الذين أخذهم البحر أعرف الأسماء كلها

■ رستم محمود

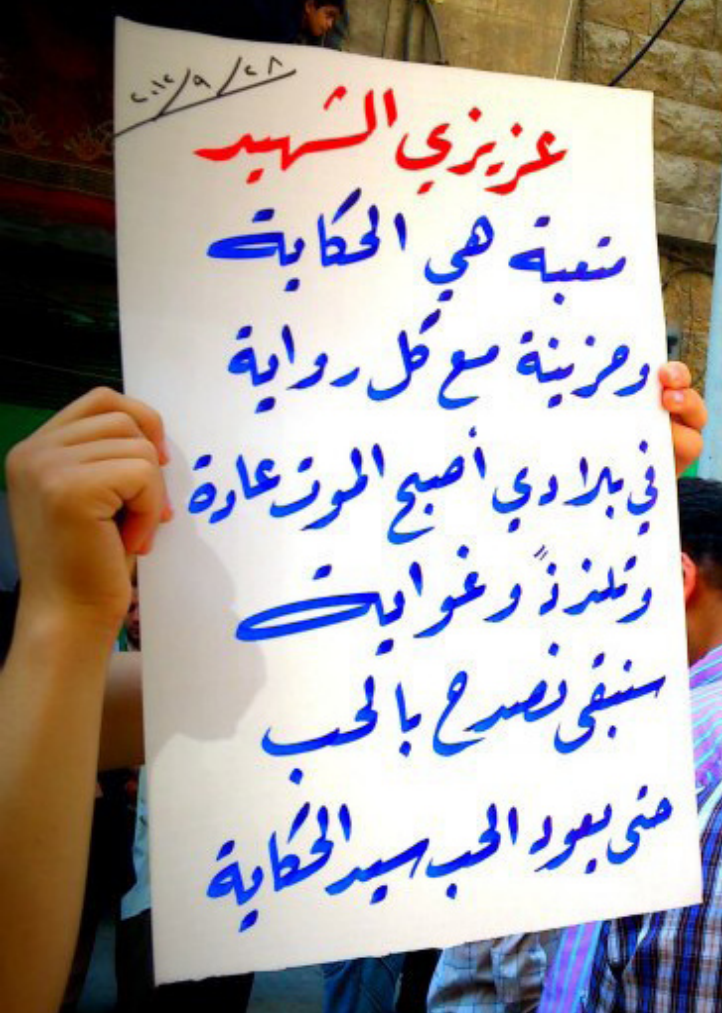

هؤلاء العشرات من الأكراد السوريين، الذين غرقوا في العبّارة التركية، التي كان يُراد بها نقلهم إلى السواحل اليونانية. هؤلاء أعرفهم جميعاً، ليس بشكل شخصي مباشر، لكنهم بالضبط، نماذج عن الكثيرين من أقرانهم، وهذه حكاية نموذجية، حدثت لكل منهم.

الشباب

أحدهم كان يسمى دلو والآخر سردار والآخر آزاد، وأسماؤهم تعني على التوالي، في لغتهم الكردية العاشق والقائد والحر. لكن حكايات وجودهم منذ الولادة كانت بالضبط على التناقض مع ذلك. فكل منهم عقب سيرة سنوات فتوته الأولى في الشمال السوري، شاهد نفسه أعزل أمام أسئلة الحياة الكريمة كلها، فلا فرص للعمل متوفرة، ولا أمانا شخصياً مقابل آلة العنف التي تسمى أجهزة أمن الدولة، وبينهما قلق عميق في الهوية واغتراب وهشاشة لا توصف في مواجهة المقبل من الأيام. ربما أحدهم باع بيت أبيه وأسكن عائلته في بيت مستأجر، واعداً إياها بإرسال ما يلزم حين الوصول إلى البر الأوروبي، وربما آخر ترك صديقته التي عرفها منذ الثانوية، ووعدها بإرسال ما يلزم لتلتحق به، والمسكينة أكلت أظافرها خوفاً عليه من أمواج البحر ومن الفتيات الأوروبيات و«كيدهن» الذي لا يقاوم، أما آخرهم فربما فر من الخدمة هرباً من قتل مدني بريء، أو هرباً من أمور كثيرة قتلت فيه نفسه، حين أوجعته أول لطمة على وجهه من يد الضابط المسؤول عنه في وحدته. هؤلاء الشباب، ومن شابههم، لا شيء يربطهم بمكانهم الأول سوى الذاكرة المريرة، ولا انتماء لهم ولا أمل. لم تكن الأرض التي ولدوا فيها وطناً، كانت شيئاً من تراب وصخر، صلبة ومن دون رحمة، بالضبط كالموج الذي ابتلعهم مع ذاكرتهم.

الأطفال

لافا وشفان وفرهاد.. إلخ، كانت أسماؤهم «معطيات» لا يمكن فصلها عن لحظاتهم الأخيرة. فـ«لافا» (واسمها يعني «التضرع») لم يعنها ذلك على مناجاة خشب السفينة ليصعد بها إلى الأعلى، بقيت مع الأطفال كلهم في الدرج السفلي من السفينة. كانت منذ سنتين فقط، قد شاهدت حفراً على خشب درجها المدرسي «أحبك لافا... s» وحين دققت في أسماء طلبة الصف كلهم، لم تجد إلا واحداً يبدأ اسمه بحرف السين، كانت تنافسه على المركز الأول في الصف، لكن منذ أن شاهدت تلك العبارة على المقعد، كانت تتقصد أن لا تأخذ العلامة التامة في جميع المواد، حتى لا تزرع حزناً في قلبه. على خشب السفينة حفرت الحرف الأول من اسمها ومن اسمه، فلعله يكون قادما مثلها في المركب نفسه عما قريب، ويبحث عنها. شفان (واسمه يعني «الراعي»)، ترك سهوب الخرفان التي كان يسهو معها في ضيعته، وهاله مدى شبه امتداد البحر الأزرق بالسهول البنية في ضيعته. قبل صعود المركب سأل والدته: أمي هل تعرف الخرفان السباحة؟ ضحكت الأم: كان جدك يقول إن الحيوانات كلها تعرف السباحة، إلا الحمار فإنه يغرق، لذا أسموه حماراً. أمي وهل سنربي الخرفان في ألمانيا؟ لا. يقولون إن الناس هناك تربي الكلاب في المنازل. لكن لماذا لم تقولي ذلك، كنت سوف آتي بكلبي معي؟ يا بني لقد بعنا كل الخراف لنركب السفينة، هل كنت تريدنا أن نبيع ثيابنا لنركب الكلب معنا؟ حين طفا شفان على الموج، أراد العدو والعودة الى الخرفان والكلب والبيت. لكن البيت كان بعيداً للغاية هذه المرة، غرق في المنام.

الوالدين

عبد السلام وسلطانة، عاصم وجمانة، رسول وفيروز، وعيسى ومريم وعماد وقمر.. الخ. أكثر ما كان يثير غيرة سلطانة هو جميلة بنت غربي اللحام، فهذه التي كانت تأتي كل صيف مع أولادها من ألمانيا، وهي التي كانت زميلتها أيام المدرسة، كانت تثير غيرتها بشكل بالغ، فثيابها وثياب أولادها مميزة، وتجتمع نساء الحارة حولها، يتبادلن صور مطبخها وشرفتها وصالونها، موبايلها الجديد الذي كان مثار تعجب الجميع في الصيف الأخير، وكذلك قيادتها للسيارة من دون وجل. منذ الصيف الأخير قررت سلطانة أن تهاجر إلى ألمانيا مهما كان الثمن، فالحالة مع جميلة لم تعد تحتمل، خصوصاً وأنها في دعوة الغداء الأخيرة في بيت سلطانة لم تتناول سوى السلطة، فهي كانت تقول للمجتمعين بأن الوجبات الشرقية لا تناسبها. زوجها عبد السلام أراد إقناعها أكثر من مرة بان بيع البيت وأدواته قد لا يكفي ثمن الطريق، لكنها قررت أن تبقي خمسة من الأولاد وتأخذ ثلاثة منهم فقط معها أول مرة، وجرى ما جرى. جمانة زوجة عاصم كانت تريد أن تخلص من بيت «الإحمى» فحسب، فلا يعقل أن يعيش ثلاثة وعشرون فرداً في بيت واحد، ولسنوات وسنوات. أخذت قرضاً على راتبها وراتب زوجها وباعت ذهب العرس وقررت الرحيل. وكذلك كانت الحكايات البسيطة لفيروز ومريم وقمر ورسول وعيسى وعماد وخلات وخليل وفاطمة ودعاء وزهرة وسليم وإبراهيم.. الخ. هشاشة بالغة وقلق عميق في الحس، يدفع لاستسهال الهروب، والخلاص الفردي.

المهرّب

اسمه ماجد بركي، هو من مدينة عامودا، عُرف رمزاً لمجموعات المهربين منذ عشرات السنوات، حققت عائلته ازدهاراً اجتماعياً واقتصادياً من خلال عمله، كان العشرات من شباب البلدة يحسدونه ويجدون فيه مثالهم وأمنيتهم لتحقيق الأهداف والمرامي الشخصية، فمنزله وأملاكه وعلاقته ومظهره كان يثيرهم للغاية. لم يثر لغطاً ورفضاً من أي جهة، من خلال أعماله «اللاشرعية»، والخطرة للغاية، في عملية تهريب المهاجرين غير الشرعيين، فبالرغم من الحوادث الكثيرة مثل هذه، إلا انه بقي على نشاطه. لا وجهاء المدينة التاريخيون ولا شعراؤها الحديثون الكثر، لا تقاليد المدينة العريقة ولا سطوة روحها استطاعوا أن يوقفوا ماكينة ماجد بركي وعلاقاته الأمنية والمالية، والتي دفعت لإغراء آلاف الشباب لركوب الموج، فغرق منهم من غرق، من دون أي مسؤولية أخلاقية أو حس إنساني، كان ماجد بركي تعبيراً واضحاً ومعياراً مباشراً، لخساسة لعبة الحياة في إحدى أعرق بلدات الشمال السوري.

في أواسط القرن العشرين، كان ثمة شاب يسمى «محمدي آغا» كان مثالاً ونموذجاً لشباب البلدة والمنطقة وقتها، لفتوته وحُسنه وخلقه، كان نموذجاً لأمنيات الفتيات وصداقة الفتيان. حينما اندلعت النار في دار سينما عامودا عام 1961، في الحادثة الشهيرة، حيث كان مئات الأطفال يشاهدون فيلماً وثائقياً عن المناضلة الجزائرية «جميلة بوحيرد»، وقتها وقف آلاف شباب عامودا حول بناء السينما من دون أن يتجرأ أحد منهم على الاقتراب من لهب النيران. وحده ذلك الشاب الوسيم أخذته النخوة، وأنقذ عشرات الأطفال واستُشهد.

على درب سيّرتي ماجد بركي ومحمدي آغا، يمكن فهم سيرة سوريا كلها.

المستقبل اللبنانية 23 / 9 / 2012

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (27816)

دمشق: 1757
ريف دمشق: 4812
حمص: 6524
حلب: 2884
حماه: 2508
اللاذقية: 506
طرطوس: 46
درعا: 2714
دير الزور: 2035
الحسكة: 139
القنيطرة: 80
الرقة: 128
ادلب: 3660
السويداء: 23

3258 عدد العسكريين
24558 عدد المدنيين
1723 عدد الإناث
778 عدد الأطفال الإناث
1837 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 29 / 9 / 2012
http://vdc-sy.or